

حواء الخالدة

محمود تيمور

محمود تيمور

حوّاء الخالدة

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميزت ٩١١٩٣٧٧
المطبعة النموذجية
٥ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

أشخاص القصة

عنترة	بطل قبيلة « بني عبس » وحامي ذمارها . في الثانية والعشرين من عمره .
عبلة	: ابنة « مالك » تناهز التاسعة عشرة .
مالك	من أشياخ « بني عبس » ينيف على الستين من عمره .
الأمير عمارة	رأس قبيلة «بني زياد» من «كندة» ، وافر الثراء ، عظيم الجاه ، أكمل الثلاثين من عمره .
عطمطم	راوية « عنترة » ومذيع شعره . يبلغ الأربعين . مرح النفس ، فكه الروح .
هند	صفية « عبلة » . في الرابعة عشرة من عمرها .
دعجاء	صاحبة « عبلة » . في الثامنة عشرة من عمرها .

حازم	كبير الحاشية فى بيت « مالك » . شيخ تقدمت به السن .
أم هَرِم	: زوج « حازم » . مدبِّرة خباء « عبلة » .
نجلاء	: من صبايا الحى .
ابن فيّاض	: من قبيلة « بنى عبس » . تاجر رحّالة .
شُراقة بُجَير ابن الزاهد	من رجال « بنى عبس » .
أرديل	: الآذن فى بيت « عنترة » .
سيف	: فتًى يحسن الغناء .

الفصل الأول

« بيداء . . . الوقت : أصـــيل . . .
خباء « عبلة » زاه بلونه العنابى ، تحف
به نخيلات . . . تترامى أمام الخبـاء رحبة
فى أطرافها أكمات ثلاث . . . تتراءى
على مد العين أخبية متناثرة ... « عبلة »
جالسة بباب خبائها تشحذ سكينا وبجانبها
« دعجاء » بين يديها مغزل ... « هند »
على رأس أكمة تتطلع . . . . . . »

عبلة : « لهند » أما تبينت لقادم ظلا ؟ ...

هند : لم يقع بصرى على أحد ...

عبلة : عجباً . . . ماذا أبطأ به ؟ . . .

هند : « وهى تحدّ بصرها » كأنى ألمح بعيراً يعدو ...

عبلة : هيه . . .

هند : ... يعتلى ظهـره شيخ ...

دعجاء : « لهند » أنت كليلة البصر . . . عســير عليك

أن تميزى العنزة من البعير ... أقبلى ... خلّى مكانك لى ...

هنـد : « لدعجاء » أخصّك اللهُ بأكثر من عينين ؟ ... « تستأنف تطلعها » إنه لا محالة بعيرٌ على ظهـــره شيخ ...

دعجاء : ما شأننا ببعير الشيخ ؟... « تلتفت إلى عبلة » أما كفى شحذاً ؟... لقد أصبحت السكين أحدّ من السيف ... أرينى ...

« تمد يدها فتجذب السكين جذبة خاطفة فتصيب كفها بجرح يسير . . . . . »

ويلاه ! ... كادت تفرى يدى ...

هنـد : « هابطة إلى الخباء » هذا جزاؤك ...

دعجاء : ما أسرع لسانك إلى قول السوء ...

عبلة : أما تفرُغ لكما مشاحنة ؟ ... كأنكما ضرّتان !؟ ...

دعجاء : لم يبق إلا أن تكون ضرتى هـــذه الطفلة الرضيع !؟...

هنـد : « لدعجاء » أكنت ترضين لك ضَرة كـ « عبلة » ؟ .

« تشيح دعجاء بوجهها عن هند ، استصغاراً لها وزراية ، وتغييراً لمجرى الحديث . . . . »

دعجاء : « وهى تتأمل السكين فى يدها » مسنونة كـ « شفرة » السيف . . .

عبلة : بل أحدّ ، إنى لا أفتأ أشحذها كل يوم ...

هنـد : وفيم هذا العناء ؟...

دعجاء : « ضاحكة » ألا تدركين يا طفلة ؟... إنها تشحذها لتذبحك بها ...

عبلة : « تحدق فى هند باسمة » أراضيةٌ أنتِ بأن أذبحك؟...

هنـد : « متطلعة إلى عبلة بنظرات حب وسذاجة » ما أطيب أن تذبحنى هاتان اليدان البضّتان ! ...

« عبلة تقبلها فى رقة وحنو . . . . »

دعجاء : « لهند » أما أنا فسأجعل منك شواء شهياً ...

عبلة : « ضاحكة تنظر إلى هند نظرة حدب ومحبة وتلاطف

ذقنها ، وعنترة يلتهم هـــذا الشواء ... أليس كذلك يا صغيرتى ؟ .

هنـد : لا أحبُّ أن يأكلنى عنترة ، وله تلك اللحية الكثّة المهوّشة ! .

« تطلق عبلة ضحكة وهى تعبث بسكينها . . . . »

عبـلة : حق ما تقولين يا هند . . . لا يجمل بعنترة أن يطعمك إلا إذا أزاح عن وجهه لحيتـــه الكثة المهوّشة . . . سآتى عليها فى طرفة عين . . .

هنـد : كيف ؟ ...

عبـلة : هذه السكين حاضرة ! ..

دعجاء : « لعبلة » تحسنين صنعاً . . . إن لحيته تحيله شبحاً مفزعا . . .

هنـد : ولكنه بطل غضنفر ... إنه فاتن النساء ...

دعجاء : « لهند » أيّةَ نساء تحنين ياطفلة ؟ ... كأن الحىّ لم يُرزق فتًى غيرَ عنترة ؟!

عبلة : « وقد وقفت قبالة هند ترنو إليها وتبتسم » لله دَرُّكِ من حسناء ... عينان ساحرتان عجِبتُ لهما كيف لا تحسنان الإبصار ؟ ...

هند : إن بصرى أنفذُ من بصر النَّسر ...

عبلة : « وهى ترمق عينى هند » لِعينيكِ لون العسل المصفّى

دعجاء : « فى دعابة وسخرية » إن عنترة يحلو له لونُ العسل فى العيون .

عبلة : « لدعجاء » يخيل لى أنّ لعينيك أنت أيضاً لون العسل يا دعجاء ! ...

دعجاء : أحقاً ؟ ... لم أكن بهذه ... [illegible] !

هند : « لدعجاء » أصابت عبلةُ فيما قالت ... لعينيك لونُ العسل ، بيد أنه العسل الكَدِر ...

دعجاء : « لهند » ماذا تقولين ؟

عبلة : « لدعجاء » تقصِد هند بالعسل الكَدِر العسلَ الغنىّ

بشمعه الأصيل ... إن الرجال يهوَوْن هذا الصنف ...

هند : ولكنهم سرعان ما يزهدون فيه !

« دعجاء ترى هند بنظرة استنكار وترفع . . . . »

دعجاء : « لعبلة » ولون عينيك أنت ؟

عبلة : وقد دنت من دعجاء تواجهها » أنعِمى النظر فيهما ، وتبيني لونَهما ...

دعجاء : « تحدق فى عينى عبلة » لا أستطيع أن أتبينَ لها لونا ...

عبلة : « تتضاحك » عيناى لا لونَ لها !

هند : « وهى تصعد بصرها فى عينى عبلة » إنهما تزخَران بشتى الألوان الزاهية ؛ فيهما خضرة المروج ، وصُفرة الذهب ، وزُرقة السماء فى صحوها ...

دعجاء : « مستهزئة » يالَلشّاعرة ! ...

هند : عن عنترةَ أخذتِ بلاغة الشعراء ...

عبلة : « ساهمة » عنترة ؟...

« تنهض إلى الربوة . . . . . . »

تلك أول مرة يخلف فيها موعده ...

هنـد : « وقد تبعت عبلة إلى الربوة » أمر خطير عاق مقدمه لامحالة !

عبـلة : وقد ارتقت الربوة ، تسرح طرفها فى الأفق ، ما هى ذى الشمس تنحدر للغيب ولما يظهر له أثر ... لقد أقسم أن يعود إلىّ بجلد الأسد ...

دعجاء : لعل الأسد قد تصيّده ! ...

هنـد : ومن يحمى الذمار ويذود عن الحى ؟ ...

دعجاء : لن تعدم القبيلة من بنيها حماة يا طفلة ! ...

هنـد : « لدعجاء » وأين كان هؤلاء الحماة يوم عدت علينا فتّاك بنى جُديل الملقّبين بالحمر ، وعاثت فى أرضنا فساداً ، وأعملت فى ديارنا يد النهب والتخريب ؟ ... وأين كان هؤلاء الحماة يوم كرّت على مراعينا قطعان الذئاب الضوارى تستبيح ما لنا من إبل وأغنام ؟... ألم يبرز عنترة لهـــذه ولتلك بعزمه البتـار فيردها على أعقابها مقهورة فزعة ، على حين تسلل حماتك

هربا فى شعاب الجبل يحتمون بها احتماء الجرذان بالشقوق ؟! . .

عبلة : حسبك يا هند ... حسبك ! ...

هند : « مندفعة لدجاء » مَن مِن هؤلاء الحماة خرج ليردّ عنا غائلة ذلك الضّرغام العنيد الذى ألِف أن يطرقنا كلّ يوم ليرجع بفريسة ينتزعها على أعيننا ، ونحن صاغرون أذلاء ، لا يملك أحدنا أن ينال منه ثأراً ؟ ! ...

دجاء : لم يخرج عنترة من تلقاء نفسه للإيقاع بذلك الضرغام ، وإنما أذعن لأمر من عبلة ... !

« تتضاحك . . . . »

عبلة : ما أمرتُ عنترة بشىء ، ولكنها رغبةٌ هجست بها نفسى ابتغاء الحصول على جلد ذلك الضرغام ؛ لكى أتخذ منه بِساطا فى خبائى ، وقد كاشفت عنترة برغبتى ! ...

دجاء : فما أسرع أن هبَّ ينفذ ما ترغبين فيه . . . الإشارة

منك أمر مطاع ... ولكن اعلمى أنك بعثت به إلى الردَى ! ...

عبلة : لا يعنينى إلا أن يُحضِرَ لى جلد الضِّرغام ! ...

هند : سيجيئك به ! ...

عبلة : «كالمناجية نفسها» ويحى ! ... ماذا تقول نساء الحى إذا آب عنترة صِفر اليدين عما طلبْت ؟ ...

« يأخذ بصرها « حازما » وهو مقبل . »

أنت هنا يا حازم ؟ ... ماذا وراءك من نبإ عنترة ؟ ...

حازم : الحى أجمع فى حَيْرة من غيبته المريبة ... أخشى أن يكون قد ألمَّ به مكروه ... إن الضِّرغام لشديدُ المِراس ! ...

عبلة : وأين راوية قَصِيده عطمطم ؟ ...

حازم : شاخص على أطراف البيداء بجوار نبع الثُّرَيا ينتظر قدومه ...

عبلة : أهذا كل ما فى جَعبتك من الأخبار ؟

حازم : لقِيتُ فى طريقى ركبَ الأمير عُمارةَ

رأس قبيلة كِندة ؟ ...

دعجاء : أمير عريض الجاه ، موفور الثّراء ... مَطمحُ أنظار النساء في البادية ! ...

هند : لِمَ لا تحتالين لِخطبته ؟...

« تنظر إليها دعجاء شزرا . . . . . »

عبلة : « لحازم » أيّة َ وِجهة يبغى الأمير يا ترى ؟ ...

حازم : يبغى مضارب خيام بنى ثعلبة ، بيد أنه سيمر بنا ليرِدَ ماءنا ! ... ولقد سألته عن عنترة ، فقال : لعل الضّرغام ابتلعه ...

دعجاء : إن شأن عنترة والضرغام قد شاع وذاع ، وملأ البِقاع ، وتسامعت به الركبان في كل مكان ...

عبلة : « مهمهمة » : ويل له إن أخفق ! ...

« عبلة لـ « حازم » ، في لهجة الأمر . . . »

اخرج في نفرٍ من أهل الحيّ لاستقبال الأمير عمارة ، وأكرموا وِفادَته ! ...

حازم : سمع وطاعة ! ...

« ينصرف حازم . . . . »

عبلة : إذا باء بالخيبة ذهبت أصداء قصيده الرنان فى أدراج الرياح ! ...

هند : أؤكد لك أنه لن يغيب طويلا ...

عبلة : « محتدة » لقد أخلف موعده وكنى ! ...

هند : الغائب عذره معه ...

عبلة : أى عذر يكون ؟ ... لقد واعدت نساء الحى أن أريهن اليوم جلد الضرغام ... وإخالهن مقبلات على خبائى بعد هنيهة ... فأين جلد الضرغام ... أين ؟! ...

هند : ألا يشفع لعنترة عندك مايقوم به ابتغاء مرضاتك ؟. إنه لا يفتأ يغدو إليك بالحليب كل يوم غير متخلف ؟! ...

دعجاء : ليس هذا بالأمر العسير ... حمل قعب من الحليب لا يرهق أحداً ! ...

هند : إن الحليب يحمله الخدم والموالى إلى السادة . . . أما الفوارس الشجعان ...

دعجاء : « ساخرة » فيضربون فى الفيافى : يصرعون أُسودها ، ويسلخون جلودها ! ...

هند : « لعبلة » عجبت لك كيف تسمعين هذا القول ولا تتصدَّينَ لدفعه ؟ ... أيجازَى عنترة منك بأن تناله الألسنة بالسخرية دون أن تكونى له نصيراً ؟.

دعجاء : « لهند » حسبه انتصارك أنت له ! ...

« لعبلة . . . . »

أخشى أن تكون هذه الطفلة منافسة لك فى حب عنترة ...

عبلة : أهلا بها منافسة حبيبة ...

دعجاء : ما أظنها إلا والهة مدلَّهة بحبه ! ...

هند : إنى به معجبة ، وإنى بهذا الإعجـــاب لمعتزة . . . أما أنت ؟ ...

دعجاء : ماذا يا طفلة ؟...

هند : « لدعجاء » إنه عنك فى شُغل ... ولا أزيدُ ! ...

دعجاء : « تتضاحك » لن أنوِّله فتيلا من إعجابى إلا إذا خلا

وجهه من لحيته الشعثاء !...

عبلة : كفّا عن الكلام ... ركبُ الأمير عمارة يقترب ...

دعجاء : الأمير عمارة قادم ...

« تتلثم . . . . »

هند : « لدعجاء » لمَ اللثامُ يا دعجاء ؟ ...

عبلة : لتغدو للعيون فتنة !...

هند : تحذق دعجاء انتهازَ الفرص ...

« يبدو حازم . . . . »

حازم : « جهورى الصوت » الأمير عمارة الكندىّ ...

« يقبل الأمير فى حلة موشية فاخرة ،
متقلداً سيفه المرصع الوضاء ، تتبعه الحاشية
والأحراس . . . . »

عمارة : « لعبلة » طاب يومك يا بنة سيد الحىّ ...

عبلة : « للأمير عمارة » طِبتَ وسلمتَ . . . شرفتْ
بمقدمك الديار ، وحق لها الفخار . . . وددت لو كان
أبى حاضراً ليغنم لقاءك ...

عمارة : أين هو ؟...

عبلة : خرج إلى الحيرة يزور ملكها المنذر ...

عمارة : يسوءنى ألا أراه ... ولكنّ فى رؤيتك عوضٌ أى عوض ... سأبقى ريثما يستق الركب ...

عبلة : حللت أهلا ، ونزلت سهلا ، أيها الأمير ! ...

« تشير إليه بالجلوس ، فيجلس ... تقول لـ « حازم » . . . . »

علينا بصحاف الجشيع ، وجفان الثريد ، لضيوفنا الكرامُ ...

حازم : السمع والطاعة ...

« ينصرف حازم . . . . . »

عمارة : علمت من الشيخ حازم أنكم تتساءلون عن عنترة . . . يبدو أن اهتمامكم به شديد ! ...

عبلة : وهل فى هذا من ضَير ؟ ...

هند : إنه فتى القبيلة الهمام ، وفارسها المقدام ...

عمارة : « لهند » إنه لكذلك حقاً . . . « لعبلة » موفق الحظ هذا الفتى الذى يظفر بعطف فتيات الحىّ ، ولاسيما عطف درّة القبيلة عبلة ! ...

عبلة : أشكر للأمير ثناءه ... أكبر ظنى أن عنترة عائد إلينا موفورَ الفوز ...

عمارة : إن الضّرغام غَلاّبٌ غَضوب ، ما ساوره فارسٌ إلا افترسه ... لم ينجُ حتى اليوم من براثنه أحـــد ...

هند : سَيفْتِك عنترة بهذا الضّرغام ...

عبلة : لقد أقسم أن يحضر لى جلده ، وما عهدتُه فى قَسمه حانثا ...

دعجاء : ها قد أدبر النهار ، ولمّا يُقبلْ عنترة ! ... لقد وعد بأن يحمل إلينا جلدَ الضّرغام ، والشمسُ متوسطة كبدَ السماء ...

« يدخل حازم بصحاف الحيس وجفان الثريد ، فيلتف حوله الجمع . . . . »

عبلة : « متحدية » إنه لعائد بجلد الضّرغام ... لا مَحالة ! ...

عمارة : عنترة شاعر فحل ، تُردّد البيدُ قصائدَه التى تَغنّى فيها بحسنك البارع ...

هند : إن اسم عبلةَ يسرى فى الخافقين ، يترنم به الناس فى شعر عنترة الفياض .

عبلة : ما أسعدنى بأن أكون مُلهمته روائع القريض ...

دعجاء : وماذا يكون من أمر عنترة إذا تعطلت شاعريتُه ؟

عمارة : يَبقَى له طول قامته ، وسواد لونه !

هند : بل يَبقَى له حدّ سيفه البتّار ! ... ولكنه سيظلّ شاعراً ، ولاسم عبلة ذاكراً ...

عمارة : « لعبلة » مهما يصفْ عنترةُ من حسنك فبين وصفه وبين الحقيقةِ أبعـــاد وآماد . . . إن الحقيقة تلوح له كالسراب ، كلما خف إليها ترامت عنه ... إنه يقول :

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهل
منى وبِيضُ الهند تقطر من دمى
فوددْتُ تقبيل السيوف ؛ لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

فأين لمعةُ السيف من وضاءة هذه الثنايا المفلّجة .

هذا الجُمان المُنَضَّد المتألق تألقَ ندى الفجر على
صفحة الزهر . . .

عبلة : لأى الأمرين جئتَ أيهـا الأمير : لتتغزل أم
لتستق ؟ ...

عمارة : جئت أستق لقلبي من نبع الفتنة والسحر !...

« ينظر اليها وتنظر اليـه ... يبتسم
كلاهما ... كتائب الظلمـة تلق ظلها على
الـكون ... تظهر أم هرم . . . . . »

أم هرم : احتشدت نسوة الحى من أهلك وجيرتك يستطلعنَ
نبأ جلد الضرغام الذى وعدك به عنترة ...

عبلة : « مهمهمة » جلد الضرغام ... ليتنى أستطيع أن أبسط
لهنَّ جلد عنترة يستمتعن بمرآه !...

« تتوافد نسوة الحى فيملأن الرحبة ...
تتقدمهن نجلاء . . . . »

نجلاء : ألم يأت عنترة بجلد الضرغام ؟...

عبلة : لم يأت بعد . . .

نجلاء : إنى ليخامرنى الريب فى نجاح هذه المغامرة ...

هنـد : أىّ ريب تقصدين يا نجلاء ؟ ...

نجلاء : من يدرى لِمَ خرج ؟. ألتصيُّد الضرغام ،أم لاقتناص المها والغزلان ؟...

« النسوة ينبسمن ضاحكات . . . . »

يبدو لى أنها حيلةٌ خُـدع بها قلبك الرقيق ! ...

هنـد : « لنجلاء » أأصابك مس لجعلك تخلطين ؟...

عبلة : فيم هذا النقاش ياصويحبات ؟. الخطب هيّن ... مالنا الآن ولعنترة ولجلد الضرغام ؟ ... ألا تعلمنّ أننا فى حضرة الأمير عمارة الكِندى رأس بنى زياد ؟...

« تشير الى الأمير عمارة . . . . »

النسوة : « خافتة أصواتهن يرددن » الأمير عمارة الكندى ؟... الأمير عمارة الكندى ؟ ...

نجلاء : عِمْ مساء أيها الأمير ... شُرفت ديارنا بقدَمك الكريم ...

عمارة : إن اغتباطى بكنّ فوق أن يوصف ! ...

عبلة : إن قدوم الأمير علينا عيدٌ أيُّ عيد ، فلنقم له مِهرَجانا يتحدث ببهجته القريب والبعيد .

عمارة : أنت تُفعمين قلبي حبوراً ، وتملئين نفسي زهواً وخُيَلاء ...

عبلة : « صائحة » انحروا الذبائح ، وأوقِدوا المشاعل ، وأعدّوا الدفوف ، وادعوا الفتى سيفاً المغنى . . . اعْجَلوا ...

« يمضى بعض الفتيات والخدم لإحضار ما طلبته عبلة . . . . »

عمارة : ولماذا دعوتِ بذلك الفتى المغنّى المسمّى سيفا ؟...

عبلة : ليُنشِدَنا بعض ألحانه ...

عمارة : هل لى أن أتمنى عليكِ ؟ ...

عبلة : تمنَّ ما شئت ...

عمارة : تنشديني أنتِ أغنيةً من أغانيكِ العِذاب ! ...

عبلة : تريدنى على أن أغنىَ لكَ ؟ ...

عمارة : إذا عددتِني لذلك أهلا ! .. تناهَى إلىّ نشيدٌ صاغه

لكِ عنترة ، فأحسنت غناءه ...

عبلة : سأنشدكَ إياه ...

هند : أتغنّين هذا النشيد حقاً ؟ ...

عبلة : وماذا فى هذا يا هند ؟ ...

هند : « مهتاجة » أُذكّركِ عهدَ الغائب الذى ألقىَ بنفسه فى التهلكة من أجلك ...

عبلة : ذلك الغائبُ لم يرع لنا عهده ...

« تقبل الفتيات حاملات الدفوف والمشاعل ، بينهن الفتى سيف . . . . »

هند بعداً لهذا ... لا أُطيق أن أشهد حفلا تذبحون فيه عنترة ! ...

« تبرح المكان مهرولة . . . . . . »

عمارة : عجباً لسلطان عنترة على بنات هذا الحىّ ! ...

دعجاء : لا تعجبْ أيها الأمير ... إن فى عينيه وميضاً يفتّت الصخر الأصمّ ...

عبلة : أقصِروا عن ذكر عنترة ... فلنبدأ مِهرجاننا ... « تنادى » : يا سيف ...

« يتقدم الفتى المغنى سيف . . . . »

عمارة : نَحّوا سيفاً هذا ! ... أردت أن ...

سيف : لستُ أيها الأمير بسيف قاطع ، وإنما أنا صدىء مُثلَّمُ الحدّ .

عمارة : لا أبالى السيوف على أى نحو تكون ... عَنَيْت أن تغنينى عبلة نشيدَها العذب الجميل ! ...

سيف : تشركنى عبلةُ كثيراً فى غنائها ، فإذا ما اندفعنا نغنى معاً خِلْتَنى عبلة وخِلْتَ عبلة سيفاً ، فعبلة أنا ، وأنا عبلة ... و ...

عمارة : خسِئتَ أيها السيف المحطم ! ...

« عبلة تتضاحك . . . . »

عبلة : اضربن بالدفوف ياصويحبات ، واعقدن حَلْقةَ الرقص مبتهجات ... « للأمير عمارة » : سأنشدك ما رغبتَ إلى فيه ...

« تنشد وعينها ترسل إليه نظرات إغـراء . . . . »

أنت للعـــين ضياءٌ   أنت للروح دواءٌ

أنت يا عبـــلة أنس   لفــــؤادى وهنـــاء

أنا لا يهــــدأ شوقى   فى بِعـــاد أو لقاء

طيفُك المحبوبُ شُغلى   فى صباح أو مَسَاء

حينما تَتْرضَـيْنَ عنى   يمــلأ القلبَ الرجاء

فإذا الدنيـــا نعـــيمٌ   وإذا الكونُ صفـاء

وإذا بى فى حبـــور   وابتهـــاج وازدهـاء

• عبلة تتغنى بهذه الأبيات ، والفتى سيف يتابعها فى الإنشاد • الفتيات يشتركن معها فى الغناء ... تنعقد حلقة الرقص من الفتيان والفتيات ... الأمير عمـاره تسرى فيه نشوة الطرب ، فيدلف الى الحلقة ، ولا يلبث أن يأخذ بيد عبلة ، فتتردد لحظة ، ولـكنه يحملها على الرقص معه ، فتقبل عليه . . . يتراقصان على ايقاع الطبل والدفوف . . . تنبعث من الربوة على حين بغتة صيحة عالية تتلوها صيحات ... عنترة يثب الى الحلقة ، كأنه شهاب يهوى من السماء . . . الجمع فى هرج ومرج . . . عنترة يدفع الأمير عمـارة بجمع يده ، ويجتذب اليـه

عبلة . . . سرعان ما تبدو هند
الى جانب عنترة . . . . »

عنترة : « وقد امتشق حسامه » إن كنتَ ذا بأس فادرأ
عن نفسك ، قبل أن يطيحَ سيفى برأسك !...

عمارة : « وقد استل سيفه » أتعلم من تُنازل ؟ ...

عنترة : لا يعنينى أن أعلم ... فلتكن من تكون ! ...

عبلة : « وقد تطلق محياها » هاهو ذا جلدُ الضِّرغام !...

« تدنو من عنترة ، فتحول بينه وبين
الأمير عمارة . . . . »

إنه الأميرُ عُمارة . . . ضيفك . . . فاعرف
واجبك له ...

عنترة : « للأمير عمارة » ليُعَلمنّك سيفى جزاء من يمتهن
أدبَ الضيافة ! ...

عمارة : ليس مثلى من يمتهن أدبَ الضيافة ...

« أهل الحى يلتفون حول عنترة »
ويتهامسون مهدئين من ثورته ، مشيرين
عليه أن يلتزم جانب الحلم . . . . . »

عنترة : « عالى الصوت » إذن فليرتحل عنا ...

« يجتمع نفر من أهل الحي بالأمير عمارة
ورفاقه ، فيتسارون . . . . »

عمارة : سنلتقى ياعنترةُ يوما ! ...

عنترة : « صائحا » سنلتقى لا مَناص ...

« ينصرف الأمير عمارة ومن إليه من
الحاشية والأتباع ... يتقدم عنترة من عبلة
صامتا قد شمخ بأنفه ، فيلقى أمام قدميها
جلد الضرغام . . . . »

عبلة : « مخاطبة بنات الحى » ذلكنّ يا صويحباتُ جلد
الضرغام ... تعالينَ انظرنه ... قلّبنه بين أيديكن
لتتبيَّن أن عنترة أنجز لى وعـده ! ...

« الفتيات يتهافتن على جلد الضرغام
يتفحصنه ثم ينصرفن بين مهمهمات
ومصيحات ، ولا يبقى منهن إلا دعجاء وهند »

عبلة : « لعنترة » إيهِ فارسَ بنى عبس ، وسيد حُماةِ
الحمى ! ... من سجايا الفتى الكريم أن يمنح من بشر

وجهه وإيناس نفسه أضعافَ ما تمنح يداه !...

« عنترة متغضب متأفف فى صمت . »

عبلة : « مترددة » عنـــترة ! . . . عنـــترة ! . . . عنيترتى !...

« تقبل عليه ، فيتراجع عنها متأبيا . »

فارسى !... بطلى المظفَّـر !...

عنترة : وما ذاكِ يا عبلة ؟...

هند : « مبتهجة » لقد تكلم . . . لقد تكلم ! ...

دعجاء : وهل قالوا إن عنترة فقد لسانه ؟...

عبلة : « دانية من عنترة » فيم هـــذه الغضبةُ التى تمازج صوتك ؟... أكذا تلقى من تحب ؟! ...

هند : « مبتهجـــة » نِعْمَ ما قلتِ . . . مرحى . . . مرحى ! ...

عنترة : « لعبلة » تنتظرين أن أمدّ لك ذراعىّ ، وقد كنت منذ هُنيهة بين ذراعى ذلك الوغد ؟! ...

عبلة : ما أعظم حبَّك إياى ! ...

عنترة : « لعبلة » وقد أنشدته نشيدى ! ...

عبلة : « ملقية نظرة توسل إلى هند » كرامةً لهذه الصغيرة فعلتُ ... ألحَّتْ علىّ طويلا فاستجبتُ ! ...

هند : « حيرى خافضة البصر » كان لزاما علينا أن نرحب بضيف الحى ...

عبلة : « وقد أمالت رأسها على صدر عنترة » أسمعت ؟ . . . بحقك عندى لم أُنشده نشيدك ابتغاء مرضاته ! ...

« تداعب لحيته . . . . »

أما زلتَ حانقاً علىّ يا طفلى الغضوب ؟ ...

دعجاء : « مغمغمة مغيظة » يا للمهزلة ! ...

« تمضى عجلة . . . . »

عبلة : « ورأسها على صدر عنترة ، وهى تربت خده » كيف باغتَّنا ولم يشعر بك أحد ؟ ...

عنترة : كما باغتَ الضرغام فى عرينه ، فلم يشعر إلا بأظفارى وقد نشِبَت بعنقه ...

هند : يالك من بطل ... بكفك تصرع الأسد ؟!...

عبلة : ماذا أبطأ بك ، وقد وعدتنى أن تثوبَ فى الظهيرة ؟.

عنترة : ساورت الأسد وقتاً ، حتى ألجأته إلى عرينه ! ...

عبلة : ولماذا لم تصارعه فى براح البيداء ؟...

عنترة : خشيت أن أُضطرَّ إلى معاجلته بضربة سيف ، فينشقَّ جلده ... وقد أقسمت أن أُسلِّمَ إليكِ الجلدَ صحيحاً لا خدش فيه ! ...

هند : عجبت كيف لم يبرأك الله أسدا ؟!...

عبلة : إنه الأسد عينه . . . تلك هامته الضخمة ، وذانك ساعداه الباطشان ! . . . وما هذه اللحية الكثَّة إلا لبدة الأسد !...

« تداعب لحيته ، يتضاحك عنترة وهند »

هند : « محدقة فى ذراع عنترة » لقد ظهر الدم على ضمادتك من نَـزّ الجرح ... ألا تغيرُها ؟...

عبلة : أجريح أنت ؟...

« ترنو الى ذراعه . . . . . . »

عنترة : إنها ضربة طائشة أرادنى بها الضرغام وأنا أساوره ،
فلو نالتنى براثنه بعنفها لما كان لى إلى الحىِّ مرَدّ ...!

عبلة : لقد أنجاكَ الله منها ، فسلمتَ ورجعت ...

عنترة : رجعت لكى تطالعَ عينى أولَ ما تطالع وجهَ أميرك
عمارة الكندى ! ...

عبلة : مالنا ولهذا الأمير ؟... أتغار منه ؟...

عنترة : ما أعجب أن تسألينى هذا السؤال ! ...

هند : « لعنترة » وهبتكَ عبلةُ قلبها ، وعن سواك
صانته ؟!...

عبلة : أسامع أنتَ ؟...

عنترة : هذا قولها ...!

عبلة : يا للجحود ! . . . وقولى أنا ، أما كاشفتكَ به
مرات ؟! ...

عنترة : ليتك تُسمعينى إياه الساعة ، فإنى لا أمل سماعه! ...

عبلة : « وعيناها موصولتان بعينيه » أُحبك ...

عنترة : « منتشيا » أعيدى قولكِ على مسمعى ! . .

بالله أعيدى ! ...

عبلة : أحبك ! ...

عنترة : زيدينى ؟

عبلة : أُحبك ... أحبك ...

هند : حسبكما ... ! « لعبلة » لو طاوعتِه لما انتهيتِ من التكرار أبدَ الدهر ! ...

عبلة : « لعنترة » إذا رغبتُ إليكَ أن تقولها لى ، فكم مرةً تستطيعُ أن تعيدَها على سمعى ؟ ...

عنترة : أفى حاجة أنتِ إلى سماعها ؟ ... إن كلّ لفظة تنبسُ بها شفتاى فى جِدّ أو هزل انتطوى على حبى إياك ، وإن كلّ عمل أقوم به فى سفَر أو حضَر ليحملُ لك خضوعَ المحب وذلّ المستهام ! ...

هند : هذا حق ... « لعبلة » يكفيكِ منه أنه يحتلب النعاج بيديه ، ويباكرك بقَعب اللبن لا يتخلّفُ أىّ صباح ... عمل لا يرتضيه لنفسه إلاّ الأرقّاء ! ...

عنترة : « لعبلة » أخبرينى : ماذا تبغين منى فوق احتلاب النعاج؟

هند : « لعنترة » وأنا ... أليس لى أن أسألكَ شيئاً ؟ ...

عبلة : بدأ قلبُ الصغيرة يتفتّح يا عنترة ... حذارِ من غَـيْرتى حذارِ ! ...

عنترة : ليتنى أجدُ الوسيلة إلى إثارة هذه الغَـيْرة . . .

هند : ألا تجدنى أهلا لأن أثيرَ غَـيْرَتها ؟ . . .

عنترة : « لهند » ما أحبَّ إلىّ أن تكونى لذلكِ أهلا ... « مداعباً » سلى ما بدا لكِ ! ...

هند : أسألك أن تحضر لى ... أن تحضر لى

« متحيرة . . . . »

عبلة : أحضرْ لها أسداً ...

هند : « صائحة » أجل ... أسداً ... أسداً ...

عبلة : أسداً من عجوة ...

عنترة : « متصابحا » من عجوة ؟ لا ... لا ... إنك تعجزيننى يا هنـــد ! ...

« يتضاحكون . . . . »

عبلة : « متدللة » زن إليك مطلباً ! ...

هند : سوى جلدِ الضرغام ؟ ...

عبلة : « لعنترة » إنه المطلب الأخير يا عنترة ...

هند : مطالبكِ لا تنفَد ! ...

عنترة : « لعبلة » أفصحي عن حاجتك ... فِداكِ روحي ...

عبلة : وعدتُ بهذا المطلب بناتِ الحيّ كلّهن ...

عنترة : ما هو يا فتّانتي ... ؟ ...

هند : « لعنترة » تجعل الجبل ينتقل إليها ، وينقاد لها انقياد
البعـــير ! ...

عبلة : « لعنترة » ليس مطلبي عليكَ بعزيز ...

عنترة : من أجل عينيك كلُّ صعب يهون ...

عبلة : « تداعب لحيته » مطلبي أن ... أن ... تحلق لحيتك ! ...

عنترة : « دهشا » لحيتي ؟ ... لحيتي أنا ؟ ...

عبلة : « وما برحت تلاطف لحيته » نعم ... لحيتك أنتَ ! ...
لحيتك هذي ! ...

عنترة : لم أفطُن إلى ما تقصدين ! ...

عبلة : الأمر جليّ يا عنترتي . . . أردت أن تحلِقَ

لحيتك من أجلى ...

عنترة : ولِمَ ؟ ... لِم ؟ ...

عبلة : « دلال » إنها كالدَّغل المشتبك . . . شعرها كسنون النصال . . . لطالما آذانى ...

عنترة : ولكن ... ولكن ...

عبلة : أتحبنى ؟ ...

عنترة : أفى ذلك ريب ؟ ...

عبلة : فلتحلقْ لحيتك إذن ...

عنترة : أما من ذلكِ بد ؟ ...

هند : لابدَّ من ذلك ... لابد ... لترى عبلةُ مبلغَ حبِّك إياها ! ...

عنترة : « لهند » أيتها الماكرة الصغيرة . . . هيهات أن أُحضر لكِ الأسدَ المصنوع من العجوة ؛ بل سأحضر لك شِبلا قَطِيا يتسلل إلى خِبائك ، فيلاعبك ببراثنه اللطاف ! ...

عبلة : « لعنترة » علام عولتَ ؟ ...

عنترة : « لعنترة » سأتدبر الأمر ...

عبلة : الأمير عمارة لم يتوانَ فى الإذعان لما أردتُ ...

عنترة : أحلق من أجلكِ لحيتَه ؟ ...

عبلة : كاد يفعل ، لولا أنكَ هبطتَ علينا فجأة ...

هند : « وقد تناولت سكين عبلة من مكمنها » بهذه السكين أوشك الأمير عمارة أن يحلق لحيته ! ...

عنترة : « وقد انتزع السكين من هند » هاتيها ...

« يتحسس لحيته مهمهما . . . . . »

حقاً إنها للحية كثَّة بغيضة ... شعرها كالنصال ! .

« لعبلة » لطالما آذتْ وجنتك الغضة ... سآتى عليها ... ولكن بشرط ! ...

عبلة : « فى تأمر وصلابة » بل دون أى شرط ...

عنترة : « صائحاً » قبلت ! ...

« يهرع الى الخباء ، فيغيب فيه ...

يبدو عطمطم راوية عنترة . . . . »

عطمطم : « محيياً عبلة وهنداً على نحو يشير المرح » أميرتى الفاتنة عبلة . . . طفلتى الظريفة هند . . .

كيف حالكما ؟ ...

عبلة : أحسن حال ... وأنت يا عطمطم ؟ ...

عطمطم : شقينا زمناً بمصاولة ذلك الضرغام العتيّ ... ثم أصبنا منه مقتلا بعد لأى ...

هند : أكان لك فى القتال نصيب ؟ ...

عطمطم : أفى ذلك تشكين يا ظريفتى ؟ ... هل غاب عنك أن عطمطا يحسن الصيد فى الفلوات ، وامتشاقَ الحسام فى ساحة الوغى ؟ ...

هند : ما عهدناك إلا راويةً لعنترة . . . تخزن فى صدرك قصيده الرائع ! ...

عبلة : « لعطمطم » وتلازم ركابه طوالَ يومك ...

عطمطم : ولكن لا تنسىْ يا أميرتى أننى أيضاً عضُدُه الأيمن فى الطعان والضراب ! ...

هند : وأين كنت يا فارسى المغوار حين مضى عنترة يواثب الأسد ؟...

عطمطم : كنت أجوب الوِهاد والنِّجاد هنا وهنالك نافضاً

رمالها وصخورها أقتفى أثرَ ذلك الضرغام الشَّرود ...

هنـد : بل كنتَ منزوياً خلف صخرة مشرفة ترقب منها عنترة وهو يصاول الأسد ... لقد عثروا بك وقد أخذ الفزع منك كل مأخذ ! ...

عطمطم : كذَب المرجِفون ... « لعبلة » أتصدقين بربك هذه الفِرْية ؟ ...

عبـلة : إنى أصدق فيكَ أمراً واحداً يا عطمطم ...

عطمطم : هو أنى سيف عنترة المصْلت على رقاب أعدائه ...

عبـلة : بل انك الطبل الأجوف يقرعه عنترة فيملأ الجو بالدوى الصاخب !...

عطمطم : مولاتى الفاتنة تغمط حق وتبخسنى قدرى ... آن لى أن أغضب ... هأنذا غضبت ... سأرفع إلى مولاى ظُلامتى ... أين هو ؟...

عبـلة : دخل عنترة الخباء ...

عطمطم : ما له وللخباء الساعة ؟...

هنـد : ذهب يخفّف قليلا مما عليه ...

عطمطم : أيُزمع التخفيف من ثيابه ، وقد أقبل الليل ؟ ...

عبـلة : لن يخفف من ثيابه ... تريَّــثْ تَرَ عجباً ياعطمطم ! ...

هنـد : أىّ عجب ؟ ...

عطمطم : « لعبلة » أصدُقينى : أين عنترة ؟ ...

عبـلة : ألم أقل لك فى الخباء ؟ ...

عطمطم : إنى ماض إليه ...

« يهم بالسير ... ... »

عبـلة : « ترده » هو عنك فى شغل ، فالبث مكانك ! ...

عطمطم : لا يشغل عنترة عنى أىّ شاغل ...

« يهم بالسير ... ... »

عبـلة : قلت لك البثْ مكانك ... إن فى يده سكيناً أحدّ من حسامه « الظامىء » ...

عطمطم : أيقاتل بها ضرغاما آخر ؟...

عبـلة : يقاتل بها ابُـوّةً عاتية يتضاءل إزاءها الضرغام خزيا وصغاراً ...

عطمطم : يا للعجب ! ...

عنترة : « من داخل الخباء » عبلة . . . عبيلة ... عُبيلتي ! ...

عبلة : ألم تأت بعد على تلك العدوّة اللدود ؟ ...

عنترة : « من داخل الخباء أيضا » إني أقذف بها في عُرض الخباء ... لا رجعة لها بعد الآن ! ...

« عطعطم يستمر دهشاً ... بعد لحظة يبدو عنترة حليق اللحيـــة ، باسطاً لعبلة ذراعيه . . . . »

عنترة : كيف تريننى عُبيلة ...

« تحدق فيه عبلة صامتة ، ثم تهفو على شفتيها ابتسامة يلمح فيها عنترة وميض السخرية . . . . »

أسألك كيف تريننى ؟...

« عطعطم فاغر فاه ، شاخص ببصره الى عنترة . . . . »

عبلة : « فى فتور » أتريد الحق ؟...

عنترة : قولى ... قولى ...

عبلة : لم أكن أُقدِرُ أن تستبينَ على محياك سمات الأنوثة على هذا النحو ...

عنترة : ماذا تقولين ؟ !...

هند : « لعنترة » شدَّ ما كانت لحيتك تخفى منك هذه الوسامة !.

عنترة : « لهند فى حيرة يشوبها الغضب » أمنى تسخرين ؟ ...

هند : وحقّك ما كذَبت ولاسخرت !...

عنترة : « لعبلة » أفصحى . . . تكلمى بغير ما بدر منك ...

عبلة : « لعنترة » ليتنى ما رغبت إليك فى أن تنزع هذه اللحية المهيبة !...

عنترة : ألم يكن شعرها كسنون النصال ، تتأذى به وجناتك النضرات ؟...

عبلة : ولكنها عنوان الرجولة ، ومظهر الفتوة ...

هند : متى كانت الرجولة بالشوارب واللحى ؟...

عنترة : « لعبلة » أخطأت إذن فى الاستجابة لك ! ...

عبلة : لست أدرى ...

عنترة : كيف ؟ ...

عطمطم : « بحمجا » يا لله من ألاعيب النساء ! ...

عنترة : « لعطمطم » وأنتَ ... ماذا ترى منى ؟ ...

عطمطم : « متلعثما » أرى ... أرى ...

عنترة : « صائحا » تكلم ! ...

عطمطم : أرى عنترةَ ... وكفى !...

عنترة : حلفْت لتصارِحَنى برأيك فىَّ ...

عطمطم : ما كتمت عنك رأيى قط ...

عنترة : إنك لتكتُمُه عنى الساعةَ ...

عبلة : « لعنترة » ليس فى طوقه أن يجاهرك بجليَّة رأيه ...
عطمطم بالرثاء خليق ! ...

عنترة : بل بالعقاب جدير ! ...

عطمطم : مولاى ...

عنترة : « وقد مدّ يده بالسكين لعطمطم » ادخل الخباء
وانزِع عن وجهك ورأسك كلَّ شعرة فيهما !...

عطمطم : مولاى ! ...

هند : أيحلق شعر رأسه ولحيته وشاربه جميعاً ؟ ...

عنترة : «صائحاً» وحاجبيه أيضاً ! ... «لعطمطم» ... إياك أن تخرجَ إلينا وفى وجهك ورأسك شعرة واحدة ! ...

عطمطم : ناشدتك الله أن ترحمنى ...

عنترة : «يلقى إليه بالسكين» انصرف عنى ، وأتَمِرْ بأمرى !

«عطمطم يتناول السكين بيده ... يمضى الى الخباء ، وهو يجر قدميه جرا . . .»

هند : «تلحق بعطمطم» لا تجزعْ ... سأعينك على أمرك ... اطمئن إلىّ ! ...

عطمطم : «وقد وضع على كتفها يده» بورك فيك ...

«يعضيان . . . .»

عنترة : خدعتنى ياعبلة ! ... إلى متى تسومينى هذا العذاب ؟

عبلة : أىَّ عذابٍ سُمْتُكَ ؟ أهو التاسى منك أن تحقق لى بعض الأمانىّ الهينات ؟ أهو اختصاصى إياك بحبى وبَوْحِى لكَ بمكنون قلبى ؟ ... أهو إباحتى لك أن تُشبِّب بى ، حتى تناثرتْ فىّ الأقاويلُ وأصبح اسمى حديثَ الناس ومُضغة الأفواه ؟ ...

عنترة : لقد بذلت كثيراً من أجلكِ !...

عبلة : « ساخرة » بذلتَ كثيراً ... لحيةً شعثاء إن فقدتها اليوم فلن تفقدها غداً ، وجلد ضرغام قدَّمته إليَّ لا يتعذر على أحد من مقاتلة الحى أن يأتى بمثله : ذلك كثيرك الذى بذلته من أجلى ... أما أنا فمن أجلك بذلت أعزَّ ما تضن به كل فتاة على أى أحد . . . بذلت سمعتى ... سمعتى !...

عنترة : حرصت على أن أسبغ عليك صفات البهاء والرُّواء ! ...

عبلة : ولكنك حرَصتَ أول ما حرصت على أن تبلغ المجد بسلم أعددته لك ... بل إنى لأدفعك إلى الصعود فيه دفعاً ... لولا شغفك بى لما سمتْ همتك إلى خوض موقعة ، ولما جادت قريحتـك ببيت من قصيدك الرنان ... بئس جحودُك فضلى ! ...

عنترة : كيف أجحد فضلك ، وأنت مُنيتى ، وحبك ملء جوانحى ؟...

عبـلة : لشدّ مايسىء إلىّ هذا الحب ! ... ما كان أغنانى عنه! ...
صار اسم عبلة نهباً للتنادر والسمر ، تلوكه الألسن ،
ويتقوّل عليه الأفـاكون ...

عنترة : حسبك ... ما أرى لى إلا أن أرحل عن هذه الديار ،
حتى تخرس تلك الألسن ...

« فترة صمت ... تدنو عبلة من عنترة
وتجلس بجانبه ... ... »

عبـلة : أتترك الحى ؟... تتخلى عن عبلتك ؟ ... من يدرأ
إذن عن القوم غارة المعتدى ؟... ومن يذود عن عبلة
عيون الطامحين من الرجال ؟ ... حقًّا لقد صدق
الأمير عمارة الكندى !...

عنترة : ماذا قال ؟ ...

عبـلة : قال : « ستصبحين يوما فلا ترين لعنترة فى ديارك من
أثر ... ليهجرنَّك لا محالة ... » لقد أسرفت يا عنترة
فيما أمَّـلت منك ! ...

« تتباكى ... ... »

عنترة : على الرغم منى أُزمع الرحيل !

عبلة : كيف تسوّل لك نفسك أن تهجرَنى ؟

عنترة : مادام هذا الهجران يَكُمُّ عنك أفواه المتقَوّلين !

عبلة : صمتا يا قاسى القلب . . .

« تتباكى . . . . »

عنترة : « فى ضيق وحيرة » أما وقد كان من أمر شعرى فيك ما كان ، فليس لنا إلا حيلةٌ واحدة !

عبلة : أية حيلة ؟

عنترة : الزواج ...

عبلة : أتمزح أم تقول صدقاً ؟

عنترة : الأمر جِدّ . . . نتزوج الآن . . . الساعة . . . على الفور . . .

عبلة : ولكن ... لم هذا التعجّل ؟

عنترة : إن ألسنة الناس قد ...

عبلة : « مقاطعة » اخطبنى إلى أبى أولا ...

عنترة : أوّاه من هذا التلكؤ ...

عبلة : لا مَخلَصَ من أن تخطبَنى أولا ...

عنترة : أبوك الآن فى الحِيرة يفد على المنذر ...

عبلة : ننتظر أوْبته ...

عنترة : لا انتظارَ ولا تسويف ... إنى خاطبُك إلى نفسك ...
أترضَيْنَنى بعلا ؟ ...

عبلة : رضِيتك ... ولكن ...

عنترة : وماذا بعد ؟

عبلة : « رانية إليه » ليس انتظارُ أيام معدودة بكثير ...

عنترة : « صائحا » لماذا ؟

عبلة : حتى تَنْبُتَ لحيتك ، وتملأ عارضَيك !

عنترة : لحيتى ؟

عبلة : أتحسَبنى أتزوج غلاماً أمرد له خدّ أملس ؟ !

عنترة : واعجباه !

عبلة : لا تعجب ... أمر الزواج لا يبرم فى طرفة عين ...
هناك ما يشغَل بالى غير هذه اللحية ...

عنترة : بأى شىء بالك مشغول ؟

عبلة : « توسد رأسها صدره ، وتداعب خده » :
أخشى أن أُفضى إليك بخبيئة نفسى ، فلا تقرّن على رأيى ! ...

عنترة : أفصحى ... كل ماتلفظينه من قول حبيب إلىّ ! ...

عبلة : يا أملى العظيم ... أنصِتْ لى ... كاشفَتْنى أمى حين حضرتْها المنية بأنى لن أوفق فى زواجى إذا لم يهد إلىّ بعلى يوم الزفاف حجر الزَبَرْجد ...

عنترة : مطلب يسير ... الأحجار الكريمة ملء الأسواق ...

عبلة : إنه حجر عزيز المنال ، ماأظنه يعرض فى الأسواق ... على أننى لا أرتضى أن تجلب لى حجراً تداولته قبلى أيدى الحسان ؛ بل أشتهى حجراً يحمله حبيبى إلىّ من موطنه الأصيل ! ...

عنترة : وأين موطنه ؟ ...

عبلة : أرانى مغالية فيما أريد ، فلنرجىء الزواج ، حتى يَرْجعَ أبى ...

عنترة : أخبريني أين موطن حجر الزبرجد ؟ ...

عبلة : على مَسيرة شهر وبضعة أيام ... فى أقصى بلاد فارس ! ...

عنترة : « مغمغما » أقصى بلاد فارس ؟ ...

« يهب واقفاً » أنت تحتالين لتُقصيني عنك ... !

عبلة : بل تمنيتُ أن تجيبَني إلى رغبةٍ تَعلقَت بها نفسي ! ...

عنترة : طالما أجبتك إلى رغبات كِثار ! ...

عبلة : إنك لتمنُّ عليّ ... وإنك لتَضيق بمطالبي ... لقد صدق الأمير عمارة الكِندى إذ قال ...

عنترة : ألا فلتنسِفْ الصواعقُ أميرَك الكندى نسفاً ! ...

عبلة : هـدِّئ من رَوعك ... ولتنس ما رغبت إليك فيه ...

« لحظات صمت .. تنشد عبلة القطعة التالية : .... »

أنت للعين ضياءْ أنت للروح دواء

أنتِ يا عبلة أُنسٌ لفؤادى وهناء
حينما ترضينَ عنى يملأ القلب الرجاء
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكون صفاء
وإذا بى فى حبور وابتهاج وازدهاء

عنترة : لماذا تنشدين هذه الأنشودة الآن ؟...

عبلة : أطلب بها سلوة لفؤادى ! ...

عنترة : قلبى لم يعد يهفو لتلك الأنشودة . . . إنى عنكِ مرتحل ...

عبلة : إلى أين ؟ ..

عنترة : « وهو يلقى إليها نظرة مبهمة » إنى عنك مرتحل ... وكفى !...

« يظهر عطمطم حليق اللحية وشعر الرأس . . . تظهر خلفه هند . . . يلتفت إليه عنترة .... »

إلىَّ يا صديقى الوفىَّ إلىّ ... سنرتحل معاً ... سنفارق هذه الديار ...

هند : ترتحلان ؟... لماذا ؟ ... ومتى تعودان ؟...

عنترة : « وقد أحاط ساعده بعطمطم ، يقول لهند » :

سنعود حين تعود إلى الحبق ، ويكتسى وجه عطمطم

بالشعر الغزير ! ...

« ينصرفان .... »

الفصل الثاني

« المنظر السابق عينه ، عبلة جالسة على
صخرة قبالة خبائها منسرحة الخاطر ، تفكر
تنهض متهادية في سيرها . . . . . . »

عبلة : « تترنم » :

فيا نسماتِ البان بالله خبرى ...
عُبيلة عن رحلى بأىّ المواضع
ويا برق بلّغها الغداة تحيتى
وحىّ ديارى فى الحمى ومضاجعى

« يقدم مالك أبو عبلة ، يسمعها تترنم »

مالك : لا تفتئين تذكرينه ! ...

عبلة : أبتِ ! ...

مالك : حال الحول على ارتحاله ، وما برح لسانك لاهجاً
بشعره ... !

عبلة : إن هذا الشعر وجيب قلبه يبعث به إلىّ مع النسيم ! ...

مالك : أو مع البروق والرعود ...

عبلة : أصبح اسمى ملء الدنيا وشغل الناس ، يطوف به الشعر فى سماوات فارس وبلاد الروم ... يعبر الأنهار والبحور ، وهو حيثما نزلَ يترك نفحةً من عطره ، ثم يحُلُّ بعد طول التّطواف هذه البادية ليهبط على صدرى فيستقر من قلبى فى مستودعه الأمين ! ...

مالك : وما انتفاعك بهذا كله ؟...

عبلة : أليس هذا ربحاً عظيماً ؟...

مالك : إنه لربح ... فى عالم الأوهام ! ...

عبلة : لولا الأوهام يا أبتِ لما قامت للحقائق أوزان ! ...

مالك : كلام أجوف لقّنك إياه عنترة فأحسنت ترديده ... خبرينى : ماذا بعد فى غيبته ؟ ... أخشى أن يكون قد أدرك الفتور حبّه !...

عبلة : إذن ما بال هذه الرسائل التى تتواتر على ؟!...

مالك : الرسائل التى يبعثها إليك مع الريح والبرق والرعد !... إنها تحيات عابرة ... تحيات قديمة تقطع الطريق إليك فى أشهر طوال ... ما علمك الآن بالجديد

من أخبار عنترة ؟ ...

عبلة : وفيٌّ في حبه ، لا ينقطع لحظةً عن التفكير في عبلة . . . وهو يجوب الأقطار باحثا منقباً عن حجر الزبرجد ! ...

مالك : لو كان في رأسه مُسْكَةٌ من عقل لما راح يطوى رِحابَ الأرض طلباً لهذا الحجر ! ...

عبلة : لقد آثر الرحلة والاغتراب ابتغاء الحجر ! ...

مالك : كان في وسعه أن يبلغَ رضاك دون أن يفارقَ الديار ...

عبلة : لقد أمرته فأتمر ! ...

مالك : لا أُحِبُّ الرجل ينصاع لفتاة تعبث به عبثَ الرياح بأغصان الشجر ... إن رجلاً هذا شأنه لا يُرْجَى منه خير ! ...

عبلة : أنا أعلم منك يا أبتاه بأصناف الرجال ...

مالك : عبلة ! ... أنتِ بنفسك معتدَّة ، فاحذري أن يوردَكِ الغرور موارد الشطط . . . أتعلمين إلى أيّ المجاهل طوّحتِ بهذا الشاعر المِطواع الخَنوع ؟ ...

عبلة : أعلم أنه يرتاد أصقاعاً تحفّ بها المخاطر ! ...

مالك : وقد يلقَى بها حتفَه ! ...

عبلة : لا يلقَى حتفَه من يلهج لسانُه باسمى ... إن اسمى تعويذةٌ تردّ عنه الغوائل ...

مالك : حتى غوائل الحب ؟ ...

عبلة : لن يحبّ سواى ... إن قلبه فى يدى ! ...

مالك : « متضاحكا » أوَ ترك قلبه عندك رهينة ؟ ...

عبلة : بل تركه مِلْكَ يمينى ! ...

مالك : عذارَى الروم يا عبلة يَسبِينَ الرجال بأجسامهن البضة المُشْرَب بياضُها بحمرة الشفق !

عبلة : لن تقعَ عينه على أجمل منى ...

مالك : حِسَان فارس يجتذبن المهجَ بسحر عيونهن اللواتى تتجمع فيهن ألوان قوسِ قُزَح ...

عبلة : لن تقع عينه على أفتن من عينىَّ ...

مالك : « يربت كتفها » ستلبثين يا عبلة غَرِيرَةً غافلة حتى يَجيئَك عنترة يوما بمن تخيرها دونَك زوجاً ،

وإذن يتبين لك أنكِ فقدتِه !

« يصمت لحظة . . . . »

كما تفقدين الآن الأمير عمارة ... !

عبلة : الأمير عمارة ؟

مالك : عظيم قومه جاهاً وثَراء ، وفتى عشيرته وسامة وكياسة ... « يدنو منها » ذلك الذى هفا إليك فؤاده فكان حظُّه منك التمنُّعَ والصدود ...

عبلة : لم أُدرك أن الأمير أولانى نظرةً عطف ...

مالك : بل أدركتِ ... ولكنك تباعدين بينك وبينه إبقاء على ذلك الأسـود الخشِن الذى لم يعد يصلح إلاّ هُولَةً يتفزّع منها الأطفال !

عبلة : لا تنس يا أبتِ أن ذلك الأسود الخشن هو سيف القبيلة البتار ، وقلبها الخفاق ...

مالك : وأين منا اليوم ذلك السيف وهذا القلب ؟... إنه يتخبّط فى مجاهل الأرض ، لا يعرف له أحدٌ من قرار ولا سَكَن ، وقد نَسِيَنا فنَسِينَاهُ ... أما الأمير

عمارة الكندي فهو منا على مقربة ، وقد جاءك الآن خاطباً ، فماذا تقولين ؟ ...

عبلة : وهل خطبني الأمير خطبة صريحة ؟ ...

مالك : قدم عليّ أمس يتبين الأمر ، ويرغب في قول فصل ...

عبلة : أرجو منك يا أبتِ ألا تتعجلَ في إجابة الأمير إلى طلبته ... بعضُ الروية خير ! ...

مالك : « بعد صمت قصير » يلوح لي أنه بدعجاء مُعجَب .

عبلة : بدعجاء ؟ ! ...

مالك : إنها القادرة أن تَسبِيَه ...

عبلة : إن كان الأمير يهواني حقًّا ، فلن تفتنَه دعجاء ! ...

مالك : اعلمي يا عبلةُ أنه سيختارها زوجاً إذا رددتِه ورفضتِ خطبته ! ...

عبلة : الأمير يا أبت لا يضمر لي في قلبه حبًّا ... كيف

تسنىَّ له أن يفكر فى دعجاء وهو لى محِبٌّ ؟

مالك : إنه يقبلها زوجاً ليكيدَ لك كيداً ... سيغدق عليها من ثرائه وسلطانه ما يجعلها أميرة البيداء !

عبلة : إنها وسيلة للانتقام وضيعة، لا يرضاها لنفسه إلا خفاف الأحلام ... ما أحسَب عنترة يلجأ إلى ذلك مهما يكن من أمرى معه !

مالك : إذن أنتِ تريدينَ الأمير على أن يظلّ أبدَ الدهر شقيًّا بك ... يخطب ودَّك فتتصامَمين، ويتعذب فى سبيلك وأنت عنه تتشاغلين !

عبلة : «مزهوة» هو الحبُّ يا أبتاه ...

مالك : إن الأميرَ لأرجح عقلا، من أن ينصاع لمثل هذا الحب ... سيتزوج دعجاء، ويروض قلبه على أن يسلوَك وينساك ...

عبلة : شأنه وما يريد !

مالك : ثم ماذا ؟

عبلة : أنتَ على إسعادى حريص ... فناشدتُكَ الله أن

تبلغ الأمير ردّي إياه ...

مالك : ما أرى سعادتَكِ إلا فى زواجك بالأمير ...

عبلة : أحببت عنترة ، وسأبقى لحبه وفيَّة ، ولعهده صائنة ...
إنّ بين جنبيّ قلباً ! ...

مالك : « يفكر لحظة » سنتدبر الأمر ...

عبلة : « فى عزم » إنى أمينة على حبى ، وهيهات أن أخونَ
قلبى ! ...

مالك : « يدنو منها ويلاطف خدها » لا نسارع إلى رفض
خِطبة الأمير ...

« تنصرف عبلة ، فيتبعها مالك بنظرات
حنو وحيرة . . . يقبل سراقة . . . »

سُراقة : شيوخ القبيلة يتفقدونك ، ويتساءلون : أين أنت ؟ ...

مالك : وفيم ؟ ... هل جدّ من أمر ؟ ...

سُراقة : لتبرموا الرأىَ فيما شجَر من خلاف بيننا وبين
بنى فَهد ...

مالك : « ضجرا » ليسوا فى حاجة إلى رأيى ... فلْيُنفِذوا

ما يشاءون ! ...

سراقة : « يصعّد فيه النظر هنيهة » مابك؟... أمجهود أنت؟...

مالك : لستُ بالمجهود ... لا شيء لى ... لا شيء ! ...

سراقة : أنت مهموم وربِّ الكعبة ! ...

مالك : أكذلك تجدنى ؟ ...

سراقة : عيناى لا تكذبانِنى ! ...

مالك : وهل تجهل سبب همى ؟ ...

سراقة : من أين لى أن أعلمَه ؟ ...

مالك : ألم يصادفك فى طريقك إلى شخص ذاهب ؟...

سراقة : صادفتنى عبلة ...

مالك : وتسألنى بعد ذلك : فيم همى ؟ ...

سراقة : ماذا كان من شأنها معك ؟ ...

مالك : إن لها رأساً صُلباً لا يلين ...

سراقة : وأنت يا مالك لك قلب ليِّن لا يَصلُبُ إزاءها أبداً ...

مالك : ماذا تريدنى أن أصنع ؟ ..

سراقة : كن لها أبا ... أباً شديد المِراس... أباً كسائر الآباء تحت سماء هذه البيداء ! ...

مالك : أفاتَك يا سُراقة أنها وحيدتى ، وأنى رُزقتُها وقد أوفيتُ على الأربَعين ، وأنها ...

سراقة : فقدتْ أمها وهى طفلة رضيع ، فحُرِمتْ حنان الأمومة . . . ولكننى آخذ عليكَ أنك جاوزةَ فى الرِّفق بها والتدليل لها حنان الأمهات ... أنسيت يا مالك أنك أغضيت على تشبيب عنترة بها حتى ملأ شعره الأصقاع ، ثم أبحْتَ له أن يتحدثَ فى خِطبتها وقد ذاع من أمر هواه معها ما ذاع ، فتمردْتَ على عُرف الأسلاف ، ولم تعبأ بسنَّة الأعراب ؟! ...

مالك : ألا بُعداً لهذا الأسود الثرثار . . . طالما أقض مضاجعى بما خاض فيه من لغْوِ الحديث ! ...

سراقة : كما أقضَّ غيره مضاجعك من قبل ...

مالك : من تقصد يا سُراقة ؟ ...

سراقة : أنسيت جُندبا والعطَّاف وابن الضحضاح... أولئك

الذين شغفتهم عبلة حباً ، ثم أورثتهم شقاء ، ولم تجب لهم سُؤلا !...

مالك : إنى لأعجب لماذا لم أضطرها إلى الزواج بابن الضحضاح ؟... فتى عزيز الجانب ، عالى الهمة ، كريم المحتد . . . ذكرتنى يا سراقة . . . لأرغمنَّها على الرضا بالأمير عمارة ، حتى لا يفلت من يدى ...

سراقة : لقد أوفت عبلة على العشرين ، وما انفكت تلهو بقلوب الفتيان !...

مالك : لا يروقها إلا ذلك الأسود البغيض ...

سراقة : أخشى أن يتطاول عليها الأمد ، فتبقى عانسا لا يأبه لها أحد ... !

« يبدو بجير . . . . »

بُجَير : « لمالك » شيوخ القبيلة ينتظرون مَقدمَك ... الأمر جِدّ ... بنو فهد !...

مالك : « متعجلا » علمت ... علمت ... هلمَّ بنا ندبِّر الأمر

فيما يريد منا بنو فهد ...

« ينصرف الثلاثة : مالك، وسراقة، وبجير ...
بعد لحظة تظهر عبلة وهند ودعجاء . . . »

هنـد : « لعبلة » أثمة جديدٌ من نبأ عنترة ؟...

عبـلة : لا ينقطع لأخباره عنى ورد . . . ما من عير يجتاز الطريق حتى ينقل إلىَّ من شعر عنترة ما يملأ أفواه الرُّكبان ... !

دعجاء : أين هو الآن ؟ ...

عبـلة : تعلمين أنه رحل ليبحث لى عن حجر الزبرجد ...

دعجاء : لقد طالت غيبته فى البحث عن هذا الحجر ...

هنـد : ألمَّا يعثرْ عليه ؟ ...

عبـلة : إنه لواجده ...

دعجاء : هبيه لم يجده ... أيظل هائماً على وجهه طول عمره ؟ .

عبـلة : لقد أمرته أن يُحضره ... وسيفعل لا محالة ! ...

دعجاء : وفيم كل هذا العناء ؟ ...

عبـلة : فى سبيل حبى ! ...

هنـد : يا لحظـِّك البسّـام ! ...

دعجاء : وهل يقتضى الحب هذا العنت كله ؟...

عبـلة : من أحبنى استهان بالشدائد من أجلى ! ...

دعجاء : ولمـاذا تعرّضين للمخاطر حياته ؟ ... إنك إذا فقدته فقدتِ الحبيب والحب معاً ! ...

عبـلة : حب مثلى لا يموت بموت صاحبه ، إنه لحب مكتوب له الخلود ... « تصمت هنيهة » ... ذكـّرْتنى شأناً : يحوم الأمير عمارة حول ديارنا هذه الأيام ، على غير عادة وإلـف ! ...

هنـد : ترامت إلينا أطراف أحاديث ! ...

دعجاء : لأىّ شأن يحوم ؟ ...

عبـلة : من أجل غادة حسناء !... إن الرجلَ لا يحوم حولَ الديار إلا من أجل امرأة.. إنه كالهرّ يعسّس متشمما حول جحور الجرذان لا يغمُضُ له جفنٌ ... !

هنـد : أجرذان نحن فيما ترَيْن ؟ ...

عبـلة : بل فيما يرى الرجل يا هند ...

هنـد : أيحسَب الرجل أنه مستطيع أن يتصيدنا كما يتصيد القط فأره ؟! ...

عبـلة : إنه لينهج نهج القط فى اقتناص فريسته ! ... يترصَّد لها مخاتلا ، حتى إذا تاحت الفرصة انقضَّ عليها، فمرة يلاطفها ، وأخرى يناوشها ... ويظل معها فى معابثة إلى أن تتخاذلَ قواها ، فيبْطِش بها بطشته الكبرى ... فلنَكُنْ على حذر ! ...

دعجاء : يلوح لى أن بين الرجال من يحمل بين جنبيه نفساً أكرم من نفوس تلك القِطَطة !...

عبلة : « لدعجاء » ربما . . .

دعجاء : لم تخل الرجالُ من ذوِى همة ونُبل . . .

عبلة : كالأمير عمارةَ الكِندى ! . .

دعجاء : « دهشة » وكثير غيره ... الحق أنى لست على بَيِّنَة من نفس الأمير !

هـند : « لعبلة » تقولين إنه يحـوم حولَ الديار من أجل حسناء ! ... فمن تكون ؟

عبلة : احذرِى ...

هند : « متضاحكة » لعلك هذه الحسناء !

عبلة : ولِمَ ؟ ... أوَ أقفرت القبيلة من فتاة سواى تصلح أن تهفوَ إليها أفئدةُ الرجال ؟ ...

هند : ينظر الأمير عمارة إليك وحدَك نظراتِ وَجد وهيام ... لم يَعْزبْ ذلك عن إدراكنا ! ...

دعجاء : وإنه لراجٍ أن تطارِحيه الحبَّ ...

هند : « لعبلة » ولكنك لن تفعلى ... وإلا فأين وفاؤك لعنترة ؟ ...

عبلة : « لهند » نسيتِ أن تقولى أيضاً : وأين وفاؤك « لصديقتك » ؟ ... وإن للصداقة كرامةً يجب أن تُرْعَى ! ...

دعجاء : « لعبلة » أيّةَ صديقاتك تَعنِين ؟

عبلة : « لدعجاء » ثقى يادعجاء أنى لن أقفَ عقبة فى طريقك إلى قلب الأمير ...

دعجاء : « لعبلة » ما أدرى عن أىّ أمر تتحدثين ؟

عبلة : « لدعجاء » لِمَ التجاهل ؟... أعَنِّى تخفين ما تقصدين ؟

دعجاء : « لعبلة » ما أخفيتُ شيئاً ...

عبلة : « لدعجاء » حسبك كتماناً ... لا تحسبي أنى أحول بينك وبين زواجك بالأمير ... لقد أذنت لك بهذا الزواج !!

دعجاء : « لعبلة ، ناظرة فى دهشة وغيظ » تأذنين بهذا الزواج ؟! ...

عبلة : « لدعجاء » إنى أنزل لكِ عن الأمير عن طيب خاطر ...

دعجاء : « لعبلة » وإذا لم تنزلى ؟...

عبلة : « لدعجاء » أنتِ على علم بأن الأميرَ بى متيَّم ...

دعجاء : « لعبلة » ربما كنتِ واهمة ! ...

عبلة : « لدعجاء » أظننتِ أن الأمير قد تعلّق بكِ ؟ ... هيهات لكِ أن تأخذيه إلا من يدى ! ... قلته لكِ إنى راضيةٌ أن أهَبَكِ إياه . . . إنى لعهد

صداقتنا وفيَّـة ...

دعجاء : « لعبلة » لو آنس الأمير منى مخايلَ عطف لسارع إلى خِطبتى ! ...

عبلة : « لدعجاء » هيهات لك أن تأخذيه إلا من يدى ...

دعجاء : « لعبلة » أشكر لك ... لا أطلب شيئاً منك ...

هند : ولِمَ لايتمّ الأمرُ على هذا الوجه : عبلة لعنترةَ ، ودعجاء للأمير عمارة ؟ ...

عبلة : إلى هذا قصدت ! ...

هند : « لدعجاء » ما بغَتْ عبلة إلا هناءك ... إنها تقدّم لك الأمير ...

دعجاء : « لهند » يا لك من طفلة ! ...

عبلة : « لدعجاء » لم تعد هند طفلة ... لقد أتمت الخامسة عشرةَ ... لقد أضحت غادةً هيفاء ...

دعجاء : ولكنها ما برحت تردّد لغوَ الأطفال !...

عبلة : « لدعجاء » أتنالين منها ؛ لأنها أكدت لكِ رضاى عن زواجك بالأمير ؟ ...

دعجاء : « لعبلة » أنا إن أردت الأمير لم يحلْ بيني وبينه أحد ...

عبلة : « لدعجاء » كما أردتِ عنترة من قبل ! ...

دعجاء : « لعبلة » لم أُنافسْكِ فيه ؛ لأنه لا يروقني ...

هند : « لدعجاء » والأمير ؟...

دعجاء : قد يكون لي معه شأن ...

عبلة : « لدعجاء » ألا تخشَيْنَ أن أنافسكِ فيه ؟ ...

دعجاء : « لعبلة » إذن فأنت تتطلّعين إلى اثنين : عنترة والأمير ! ...

عبلة : « لدعجاء » لست أنا المتطلعة ، بل هما المتطلعان ، وإن ذلك ليسبّب لي كبير عناء ...

هند : « لعبلة » لقد وعدتِ ألا تحولي بين دعجاء والأمير ...

عبلة : « لهند » ما زلت عند وعدي ...

دعجاء : « لعبلة » لا يعنيني أن تبَرّي بوعدك أو أن تخلفيه ... !

عبلة : ياالـكبرياء ! ... ويالـغرور ! . .

هنـد : « لدعجاء » على ماذا عوَّلتِ إذن ؟

دعجاء : « لهند » سأرى رأيى ، لا أنصاعُ لرأى أحد ...

« تنصرف مهتاجة . . . . »

هنـد : « لعبلة » يلوح لى أننا قسونا على دعجاء ...

عبلة : بل هى على نفسها قسَت . . . إنها لحمقاء !

هنـد : لقد سلبْتِها بالأمس عنترة ، وأنتِ اليوم تزاحمينها على الأمير ! . . .

عبلة : ما سلبتُ ولا زاحمت ! ... عنترة هو الذى أقبل علىّ ، والأمير هو الذى يتودَّد إلىّ ، فماذا كنت فاعلة ؟ ...

هنـد : شأن الأمير غير شأن عنترة !...

عبلة : ماذا تريدين أن تقولى أيتها الصغيرة ؟ ...

هنـد : أما قلتِ منذ قليل إنى لم أعدْ صغيرة ؟! ...

عبلة : أنتِ صغيرة حتى اليوم ، وستظلّين كذلك معى دائماً ! ... ولـكننى يسرنى أن أستمع إلى حديثِك ... تكلّمى : ماذا تعلمين من أمر عُمارة ؟ ...

هنـد : لقد شَغَفْتِه حُبًّا ، يَبْدَ أنه بدعجاء معجَب ! ...

عبـلة : بعض الإعجاب إشفاق ! . . .

« تهم هند بالخروج . . . . »

إلى أين ؟ ...

هنـد : إلى دعجاء أُسَرِّى عنها ؟ ...

« تنصرف هند . عبلة منفردة تفكر ...
يبدو الأمير عمارة الكندى فى خطا هينة ،
عبلة تحس مقدمه . . . »

عبـلة : « ملتفتة إلى الأمير » الأمير عمارة ؟ ...

« فترة سكوت . . . . »

عمارة : أأكون قد عكرتُ عليكِ صفوَ أحلامك ؟ ...

عبـلة : أيَّة أحلام ؟ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطـــرة بأمر ! ... ذلك واضح على جبينك الناصع ! ...

عبـلة : ربما كنتَ على صواب فيما قَدَّرْتَ ...

عمارة : أنت مشغولة الخاطر بشخص ! ... ذلك جَلِى فى عينيك النجلاوَين ! ...

عبلة : أى شخص ؟ ...

عمارة : الذى تعرفين ! ...

عبلة : أصديق هو ؟ ...

عمارة : أكثر من صديق ! ...

عبلة : « ترنو إليه فى تخابث وتدلل » أحسبتنى هيْمَى بأحد ؟ ...

عمارة : أخاليةُ القلب أنت إذن ؟ ...

عبلة : « متضاحكة » مثلكَ يا خالىَ القلب !...

عمارة : ليس قلبى بخالٍ يا عبلة ... وأنت بذلك عليمة ! ...

عبلة : « متضاحكة ، فى عبث » أعلم أن الأمير يحوم حول الحمَى من أجل فتاة . . . وإن فى حيِّنا لحِسانا فواتن ! ...

عمارة : هنا فتاة تفوق أترابها حسناً وفتنة ...

عبلة : إن الناس ليتحدثون بجمال دعجاء ! ...

عمارة : دعجاء جميلة ... لا ينكر جمالها أحد . . . ولكننى عَنَيْتُ ...

عبلة : « مقاطعة » أتراك عنيت هنداً ؟...

عمارة : تعرفين من عنيتُ يا عبلة ! ...

عبلة : هل غاب عن فطنة الأمير أن التي يعنيها هو قد تعلق بها فتى من القبيلة لم يخف أمره ؟ ...

عمارة : فتى قد ارتحل إلى ديار نائية ... وأكبر الظن أن المقام قد طاب له هناك ...

عبلة : مافارق الديار إلا ليبحث لفتاته عن حجر الزبرجد...

عمارة : حجر كريم العنصر ، ليست قيمته بزهيدة ... ولكن العثور عليه لا يستنفد كلَّ هـذا الجهد ! ... إن الأسواق به ملأى... لو طلب إلىَّ هذا الحجر لقدَّمته في طرفة عين ! ...

عبلة : هذا حق ... إن ثمنه لا يعييك !...

عمارة : في مُكنتي أن أقدم مائة قطعة من حجر الزبرجد ... لا قطعة واحدة ! ...

عبلة : « معابثة » وما قيمة هذا الشيء الذي تقدمه مستطيعاً في طرفة عين أيها الأمير ؟!...

عمارة : أليس هذا الحجر طلبة الفتاة ؟...

عبلة : إن طالِبَتها أبعد من ذلك مرمى وأعزُّ شأناً ! ...

عمارة : أى مرمىً ؟... وأىّ شأن ؟...

عبلة : عليك أن تتبين ذلك بنفسك ، لكى تذلّل لك القلوب !...

عمارة : أرغب إليك فى أن تلقنينى علم ما أجهل ...

عبلة : « فى دلال » أأَنت تجهل ذلك حقاً ؟!...

عمارة : « فى وَجد وشغف » يبدو لى أنى حين أكون معكِ أجهل كل شىء ... أجهل الدنيا والناس ... بل أجهل نفسى أيضاً ... إننى ليختلط علىَّ أمرى ، فلا أعى ما أقول ، ولا أدرى ما أصنع ؟! ... أريد أن ترشدينى ... أريد أن تقولى لى : افعلْ هذا ، ودَع ذاك ، فإنك لن تلقْ منى إلا سمعاً وطاعة... يا عبلة : مرينى ... ماذا تبغين ؟ ...

« يجثو حيالها . . . . »

عبلة : حسبُك ... انهض ...

« تأخذ بيده . . . يقف الأمير عمارة أمامها مضطربا حائر النظرات . . . ترنو عبلة إليه بسامة الثغر ... تقول له فى صوت لين النغم » :

بدأتَ تفطن إلى سريرة المرأة يا صاح ! ...

عمارة : « منتعشا » أحقا ؟! ...

عبلة : هذا ما أراه ! ...

عمارة : إذن أعينينى على بلوغ أمنيتى ...

عبلة : أيةُ أمنية لك ؟ ...

عمارة : أن أقتنص قلب التى أهوى ...

عبلة : أفى طوقك أن تقتنص قلبها ؟...

عمارة : لست على أية حال أقلَّ درايةً من مزاحمى ...

عبلة : من أين لكَ أن تعلم أن مزاحمك اقتنص قلبها ؟ ... قلبه هو الذى وقع فى الشَّرَك ! ...

عمارة : تزعُمين أنها لم يهف قلبها إليه ؟...

عبلة : لا ريب أن بها عطفاً عليه ... ربما هَوِيَتْه يوماً ! ...

عمارة : إذن لى أن أؤمِّل فى هواها ...

عبلة : إنها لا تقف دون أمَلك أيها الأمير . . . ولكن اعلم أن الطريقَ إلى قلبها تتناثر فيه الصعابُ والأشواك !...

عمارة : لأذللنَّ هذه الصعاب مهما يكن من أمرها ، ولأحتملنَّ هاته الأشواك مهما يكن من وخْزها ...

عبلة : أواثق أنتَ بنفسك ؟...

عمارة : أعظمَ الثقة !...

عبلة : « وقد وقفت وقفة التأمل » أفصحْ عما تريد ، أيها الأمير ، قل صريحاً ... ماذا تبغى ؟...

عمارة : أبغى خِطْبتك يا عبلة ...

عبلة : هل يعرف الأمير مهرى ؟ ...

عمارة : لكِ فوق ما تطلبين ... إن العظيمَ فى سبيلك ليهون !...

عبلة : أتعرفُ النياق التى تسمَّى بالنياق العُصفورية ؟ ...

عمارة : أعرفها حق المعرفة : قُدودها كقدود الظباء ، وأوبارُها كشِقَقِ الديباج ؛ إذا انطلقتْ تعدو

فى البيداء لم يسبقها الظَّلِيم ، وإذا نُحِرت وطعمْتِ
من لحمها ألفيتِه أشهى من لحم الحُملان ...

عبلة : « فى عزم ، وقد عقدت يديها على صدرها » أطلبُ
منها ألفاً ...

عمارة : ألفاً ؟ ! ...

عبلة : مطلب عسير ؟ ...

عمارة : الحصول على مائة من هـــذه النياق يعد إحدى
المعجزات ...! إنها عزيزة المنال ، نادرة الوجود ...
وهى مشتتة فى مختلفِ الثغور ، يتطلب جمعُها ضربا
فى البلاد ، وغيبةً تستغرق الأشهرَ الطِّوال ...

عبلة : لا أقصد أن أجشِّمك ما لا طاقة لك به ...

عمارة : قدِّرى ثمن ما تطلبين من هـــذه النِّياق ، فأبذله
لكِ عاجلا ...

عبلة : ما طلبتُ فضةً ولا ذهباً ، بل نياقا ...

عمارة : وددِتُ أن أطوِّفَ فى أنحاء الأرض لأجلب لك
تلك النياق ، ولكن الرحلة تؤخِّر زواجنا زمناً ...

عبلة : لم يقلْ عنترة مثل هذا القولِ ؛ بل ارتحل فى طلب ما أردت وهو راضٍ فخور . . . لقد فارق الديارَ وهو يترنَّم بهذين البيتين :

أذِلُّ لعبـــلة من فرط وجدِى
وأجعلهـــا من الدنيـــا اهتمامى
وأمتثـــلُ الأوامرَ والنـــواهى
وقد ملك الهـــوى منى زِمامى

عمارة : كفى يا عبلة ...

عبلة : لا تنس أن دعجاء إلا تطلب ألفاً من النياق العصفُورية ! ... فتاة ليست بطَموح ... إنى لها أخت وفيَّة ... أستطيع أن أكونَ رسولَك إليها أسألها : ما مهرها ؟ ...

عمارة : يا عبلة كفى ... كفى ...

عبلة : ماذا أيها الأمير ؟

عمارة : هَبينى ضَمِنتُ لك أن أسوقَ إليك النياقَ الألفَ التى طلبتِها ، أتُقسمين على أن تكونى لى ، لا ينازعنى

فيـــك منازع ؟ ...

عبلة : إن فى الحصول على هذه النياق لمشقةً أىَّ مشقة ، فلِمَ تُكلّف نفسَك هذا العناء ؟

عمارة : سألتُكِ : أتقسمين على أن تكونى لى زوجاً إذا سقتُ إليك النياق ؟

عبلة : « وهى تحدق فيه » أقسم على ذلك ! ...

عمارة : أتُقسمين على أن تنتظرينى مهما تَطُلْ غَيبتى ؟

عبلة : أُقسم على ذلك ! ...

عمارة : « فى حزم وتأكيد » لأجلبَنَّها لكِ ألفاً من النياق العُصفورية الأصائل كاملة !

عبلة : مَرْحَى أيها الأمير ! ...

عمارة : إنى راحل من فورى ... جوادى خلفَ هذا الخباء ينتظـــرنى ...

« يشير الى خباء بين الأخبية المتناثرة فى ساحة الحى . . . . »

إلى الملتقَى يا عبلة !

عبـلة : إلى الملتقى القريب أيها الأمير ...

« يحييها جياش العاطفة ، ويمشى مهرولا ، تتبعه بنظرات زهو وانتصار... تظل رانية إلى طريقه الذى غاب فيه ... بعد قليل تقبل من طريق آخر هنـــد ودعجاء باكيتين ، تسرع إليهما عبلة متسائلة . . . . »

عبـلة : ما بكما ؟... فيم بكاؤكما ؟ ... تكلّما ...

هنـد : أما تراءى إليكِ الخبر ؟ ...

عبـلة : أى خبر أردتِ ؟ ...

دعجاء : عنترة ... عنترة ...

« تشرق بعبرتها فلا تقدر على مواصلة الـكلام . . . . »

عبـلة : ما لعنترة ؟...

هنـد : « فى صرخة أضعفها النشيج » إنه قَضَى ...

عبـلة : عنترة ؟... قضَى عنترة ؟...

« تقف مشدوهة ذاهلة اللب . . . . »

هنـد : « وهى ترمى نفسها فى حضن عبلة » قلت لكِ إنه قضى

عبلة : من أين استقيتما هذا الخبر ؟ ...

هند : الناس يتناقلونه ...

عبلة : « صائحة » من أتى به ؟ ...

هند : لست أدرى ...

عبلة : طالما تناقلت ألسنةُ السوء أكاذيبَ تبغى بها جر المغانم ! . . . كلا . . . ما قضى عنترة ! . . . فِرية مدسوسة ! ...

دعجاء : كيف لا يقضى ؟ ... ألستِ أنتِ التى رميت به فى المهالك ؟...

عبلة : لقد أرسلتُه فى طلب حجر الزبرجد ؟ . . . وإنه لآت به ! ...

دعجاء : تحاولين بهذه الشقشقة الجوفاء أن تسترى جريرتك ... لقد نكبتِ القبيلة فى أعزّ بنيها ...

عبلة : أمسكى عن هذا الهُراء ...

دعجاء : « مستأنفة » ... كما نكبتِ القبيلة فى فتيان آخرين قبله ! ... كل هذا إشباعاً لغرورك الطائش وإرواء

لأثرتك الحمقاء ! ...

هند : « مغمغمة » ألا تكتفين ؟ ...

دعجاء : « لعبلة ، مندفعة » لشدّما آذيتِ الناس وكنتِ عليهم بلاء مصبوباً ... أننسى صنيعَك بجُندَبٍ باكورة أحبّائك ، وهو فتى قبيلة بنى وحيد ؟... ألم تُشبى نار البغضاء بينه وبين أخيه الوضّاح ، حتى ...

عبلة : « مقاطعة » لقد كان الوضاح لئيمَ الطبع زنيما ...

دعجاء : لأنه لم يقابل حبك بحبّ ! ... فجزيتِه على ذلك أن أثرت أخاه عليه بمكرك وكيدك ، وما زلتِ بهما حتى اقتتلا وسقطا صريعين معاً ...

عبلة : حدَثٌ تافه ... كثيراً ما يقع مثله بين الإخوة ...

دعجاء : وهل ننسى العطّاف ؟...

هند : ليس لعبلة إصبع فيما حلّ به من كارثة ...

دعجاء : بل اقترفتْ جريمةً لا تُغتفر ...

عبلة : أيّة جريمة اقترفتها يا جرثومة السوء ؟...

دعجاء : لقد جفا أمّه جفوة شنعاء ، تاركا إياها نُهبة الفاقة

والبؤس ، فهلكتْ فريسة الإهمال والعُقوق . . .
وما سولت له نفسُه أن يفعل ذلك إلا استجابة
لرغباتك وإيثاراً لمرضاتك ... حتى إذا جاء يستنجزُك
عهدَ الزواج لم يجد منك إلا التمنُّعَ والإباء ، فذهب
هولُ الصدمة بعقله، وهام على وجهه شريداً لا يستقرُّ
به مقام ... والآن ، لقد حان يومُ عنترة ! ...

عبلة : « مهتاجة غضبى » إن لم تُمسكى عليكِ لسانك
أريتُكِ كيف يكون ردى ...

« ترفع يدها فى وجه دعجاء ... تحول
بينهما هند ... فى هذه اللحظة يبدو مالك
فى جمع من رجال القبيلة ، بينهم ابن فياض
التاجر الرحال ... تأخذ هند بيد دعجاء
وتمضيان الى جانب . . . . »

مالك : « لعبلة » ما أظنكِ إلا قد علمت بنبأ عنترة ...

عبلة : من افترى هذا الخبر يا أبتاه ؟ ...

ابن فياض : أنا الذى حملت إليكم الخبر . . . ما افتريتُ
ولا كذَبت ! ...

عبلة : ابن فيَّاض ؟ ! ...

مالك : جوَّاب الآفاق ، ورأس تجار البقعة ... لقد أتى فى عِيرٍ من فارس منذ قليل ...

عبلة : « لابن فياض » وهل لقِيتَ عنترة ؟ ...

ابن فياض : لَقِيتُه حيًّا ، وودَّعته ميتاً ! ...

عبلة : « مضطربة مأخوذة » أوضحْ ... اصْدُقْنى ... هل رأيته بعينى رأسك ؟...

ابن فياض : كنت فى كِرْمان أجمع نفائس البُسُط للملك السجنجل ، فصادفت فى السوق عطمطماً عليه أسمال ، يرزح تحت هم ثقيل ، فسألته : ما خطبه ؟... فأنبأنى بأن عنترة طريحُ فراشه نَهِكته العِلة ... فصحبتُه إلى مستقرِّ عنترة ، فوجدت ما يخلع القلب أسى ويثير الدمع ... عنترة العظيم الجبَّار ملقى على حصير فى حجرة مهدَّمة يجود بنفسه ! ...

هند : « فى ألم وتحسّر ، لابن فياض » ماذا كان يشكو ؟ ...

ابن فياض: لزِمَتْه الحمّى ، فلم تُبق منه باقية ...

« يصمت برهة ، والعيون إليه شاخصة

عبلة يغشاها ذهول . ابن فياض يتابع قوله »

لقد كان عنترة فى بُحْران الحمّى حين دخلت عليه ،

ولكنه ما رآنى حتى عرفنى ...

عبلة : « فى صوت مختلج النبرات » أقال لكَ شيئاً ؟ ...

ابن فياض: سمعته يردّد أبياتا يتغنى بها فى مشقة وعناء ...

عبلة : أما استبان لك منها شيء ؟ ...

ابن فياض: أنتِ للعين ضياء أنتِ للروح دواء

عبلة : « وقد شرقت بالدمع » أنتِ يا عبلة أُنسٌ لفؤادى وهناء

« تتهالك على صدر أبيها وقد ملكها

النحيب . . . تهمهم قائلة . . . . . »

أبَت ! . . . أبَتَاه ! . . .

« يلاطفها مالك أبوها هنيهة . . .

يتوسط الجمع صائحا . . . . »

مالك : يا بنى عَبْس ، قَضَى فارس القوم عنترةُ ، فحيّوا

ذكراه . . .

عبلة : ياطالما حفِظ الذِّمار ، ومنع بنجدته الجار ، وردَّ عنا عدوان المغير ، وأفاض المغانمَ على أخبية الحيّ ، وعقَد لقبيلتِنا لواءَ السيادة على قبائل البيداء ! ...

مالك : « بعد لحظة صمت » يا معشرَ عَبْس ، قضَى عنترةُ ، ولكنَّ قبيلةَ عنترة حَيَّةٌ لم تقض ، فما زال فيها شباب نَهَّاضون ، وكهولٌ صناديدَ ! ...

سراقة : صدقتَ وبَرِرْتَ يا سيدَ القوم ، عنترة لا يموت مادمنا أحياء ! ...

بجير : كل منا عنترة ... إن فعالنا شهود نواطق ...

ابن الزاهد: لقد كان عنترةُ أحدَنا ، ولم يتمّ له فوز إلا بسواعدنا ! ...

بُجير : كان عنترةُ شجاعاً بحق ، ولكن مانفْع شجاعة رجل وحده إذا لم يعزِّزْها فرسان أشدَّاء مثلنا ؟ ...
لولا سيوفنا لما نَبُهَ لعنترةَ ذِكْر ! ...

سُراقة : لولا نحن لم يكن عنترة شيئاً ...

عبلة : «صائحة» أتزعمون أن فيكم نِدًّا له، شدةَ بأس وثباتَ جنان؟ ...

مالك : «مبتسما، لعبلة» أخذتهم حَمِيَّةُ التفاخرِ يا بُنَيَّة ! ...

عبلة : كان عنترةُ أطولهم باعا وأعنفهم مِراسا وأفصحهم لساناً ... كان سيفَ القبيلة البتّار، وصوتها الرنان ! ...

ابن الزاهد: «لعبلة» كل رجل منا يا عبلة سيفٌ للقبيلة بتّار، وصوت لها رنان ... ليس بيننا وبين عنترة إلا أن الحظ واتاه وأخلفنا، فتألق اسمه وعلت مكانته ...

سراقة : ثم خَمَدتْ جذوتُه، وخبا ضوءه ! ...

عبلة : كلا ... لن يَخْبُوَ ضوءه أبدَ الدهر ...

ابن الزاهد: حسبكم يا رفاق . . . أثبِتوا للملإ أنكم فعّالون لا قوّالون ... هنا ...

«يتهيأ الجمع للانصراف . عبلة تحتجز ابن فياض»

عبلة : « لابن فياض » حدثنى عنه !...

ابن فياض: أىّ حديث تريدين ؟...

عبلة : كيف كانت حياته فى مطارح الغربة ؟...

ابن فياض: لقد أفضى إلىّ عطمطم بنتف منها ... قصّ علىّ كيف كابدا مصاعب وتجشما أهوالاً ... لقد طوّفا فى البلاد شرقاً وغربا ، وجابا أصقاعاً لم تطأها قدم عربىّ من قبل ، وهبطا مدائن عجيبة لم يُسمع بها إلا فى أساطير الأولين !...

« يصمت ابن فياض وعبلة وقد غشيتهما كآبة .... »

عبلة : « والدمع يتحير فى مآقيها » أواريْتَه التراب بنفسك ؟...

ابن فياض: كان علىّ أن أدرك القافلة وهى على وشْك الرحيل إلى إبرَيشم حاضرة بلاد الملك السجنْجل ، فعَهدتُ بالأمر إلى عطمطم ... ثق أنى أديت واجبى أتم أداء ... كان عنترة فتى القبيلة الأمجد ،

فحقّ عليّ أن أرعاه فى محنته ...

عبلة : جزيتَ خير جزاء ! ...

« فترة صمت . . . . »

ابن فياض: أترغبين فى السؤال عن شىء ؟ ...

« تهم عبلة بالكلام ، ولا تلبث أن تمسك . . . . »

ماذا ؟... تكلمى ! ...

عبلة : ليتنى لم أبعثه فى طلب حجر الزبرجد ... شدّ ما أنا جائرة ! ...

ابن فياض: ترامى إلىّ أنه لم يحصل على طلبتك ، عرضتْ عليه أحجار زبرجدية غير أصيلة ، فأعرض عنها ...

عبلة : « مغمغمة » لقد لقىَ فى سبيل هذا الحجر المشئوم عنتاً أىّ عنت ... « تصمت هنيهة » لا أستبقيك طويلا ، فالجمع ينتظرك ... شكراً لك يا ابن فياض ...

ابن فياض: طاب يومك !...

« ينصرف ... تقبل هند ودهجاء »

عبلة : « فى لوعة ، لهند » مصابنا فى عنترة يجلّ عن العزاء ...

« تحتضن هند فتبكيان ، وتدنو منهما دعجاء باكية ... تبدو أم هرم . . . »

أىْ عنترةُ المغوار !... أى حامىَ القبيلة الفذّ !...

أم هَرم : وماذا بعدُ ؟ ... كفكفْن من عبراتكنّ ... لن يغنى البكاء فتيلا ...

« تتقدم باكية ... تمسح عينيها بطرف خمارها . . . . »

ورد علىّ الساعةَ نبأ عجيب ! ...

دعجاء : أى نبإ هذا ؟ ...

أم هَرِم : يتهامس الناس بعودة الأمير عمارة ...

« ترهف عبلة سمعها . . . . »

يتناقلون أنه فى طريقه إلى الحى ...

عبلة : أساقَ معه النياق ؟...

أم هرم : لا علمَ لى بنياقه يا بُنيَّة . . . سمعتهم يتحدثون

عن ركب عظيم يجتاز شعاب « الحواشب » متجهاً
نحو مضارب خيامنا ، وكثيرون يذكرون اسم
الأمير ...

عبلة : « وقد أشرق محيّاها » من أدب الضيافة أن نخفَّ
لاستقباله ... ألا ننهض ؟...

أم هرم : هيّا يا بنية ... نِعْمَ الرأى ما رأيتِ ! ...

« تهرع عبـلة منصرفة ، وفى أثرها أم هرم . . . . »

نجلاء : « عاقدة يديها على صدرها » أدعاها أدب الضيافة
حقـًّا إلى أن تخِفَّ لاستقبال الأمير ؟...

« تسكت عن الجواب هند . . . . »

ثقى ياصغيرتى أنها لا تبكى على عنترة بقدر ما تبكى
على نفسها ... إنها لترى فيه طبْـلاً تقرعه فيدوِّى
باسمها ، فإن تمزّق الطبل سارعتْ إلى البحث عن
طبل جديد ! ...

هند : أواعيةٌ أنت ماذا تقولين ؟ ...

دعجاء : نعم ... أعنى ما أقول ...

ستذوب أحزانُها وشيكا على صـــدر أميرها المضطرم ... لن يبقى لعنترةَ بعد اليوم فى قلبها مكانةٌ ! ...

الفصل الثالث

« المنظر السابق ... عبلة جالسة بباب
خبائها تغزل الصوف وبجوارها هند... غير
بعيد منهما مالك يجلس الى رهط من القبيلة،
بينهم ابن فياض وسراقة وابن الزاهد وبجير »

ابن فياض : إنى لأعجبُ من حَيرتكم ... ألم أقل لكم إنى
رأيتُ عنترة بعينىْ رأسى يلفظ أُخريَات
أنفاسه ؟... ما لكم لا تصدّقون ؟... لقد غبتُ
عن الحى قُرابةَ ستة أشهر منحدراً إلى الوراء
فى تجارة ، وهأنذا أعود فأجدكم تكذّبوننى فيما
كنت أخبرتُكم به فى شأن عنترة ... لماذا
تكذّبون ؟ ...

مالك : لستَ بكاذب يا ابن فياض ... ولكن قد تكون
مخدوعا ! ...

ابن فياض : أتخدعنى عيناى يا مالك ؟ ...

مالك : يقول ابن مُرَّة إنه لقىَ عنترة فى مشارف الطَّالقَان بإقليم طَخارِستان يقود جيشاً عَرَمرماً يحاربُ به الترك ...

ابن فياض : أين ابنُ مرَّة هذا ؟...

بجير : لقد ارتحل بِبعيرِه إلى أمام ...

ابن فياض : لو كان بيننا الآنَ لما جرُؤ على أن يواجهنى بهذه الفرْية ! ...

مالك : زعم ابن مُرَّة أنه لقى عنترةَ بعد لقائك إياه ...

ابن فياض : لا يبرح الموتى قبورَهم يا مالك ! ...

مالك : إنى لفى حَيرة من أمر عنترة ... أتمثَّله رُوحاً شاردة تَهيم فى الآفاق ، لا يستقرُّ لها قرار ! ...

سُراقة : إذا كان عنترةُ حيًّا ، فلماذا لا يرجع إلى الأهل والديار ؟ . . . لقد طالت غَيْبَتُه دون أن ندركَ لذلك سبباً ...

هند : « لعبلة » يبحث عن حجر الزبرجد ...

« عبلة لا تجيب متشاغلة بمغزلها . . . »

ابن الزاهد: « فى دعابة ساخرة » لقد احتجزته فارس لنفسها ،
فأمَّرَتْه على جندها ، وقلَّدَتْهُ زِمام بلادها ...
لسوف يُخضع لهـا الدنيا بأكملها ، ويملأ خزائنها
أسلاباً وغنائم ...

بُجير : « ضاحكا » إنى لأتمثله وقد غدا دِهقاناً مَهيباً
يَرْفلُ فى طَيلسانِه ، ويترنح رأسُه تحت قَلَنْسُوَة
ضخمة شاهقة ! ...

سراقة : « وهو يتمايل ضاحكا » ولِمَ لا يكون قد
غدا ساحراً مجوسياً جليلَ القدر يَحُف به الأتباع
والأنصـار ؟ ...

« يقبل حازم . . . . »

حازم : « لمالك » أعلمتُ أن خُزَيمَةَ آت بِعيره من
دمَشْق ، وسيبلغ الحىّ بعد قليل ...

مالك : « لمن حوله » هلمّوا لاستقباله يا رفاق ... الكل
مِنا فى هذا العِير متاع ...

ابن فياض : هيا ...

« ينصرف مالك ومن معه . . . هند
تختلس النظر الى عبلة كأنها تهم بالحديث .
وعبلة على حالها متشاغلة بمغزلها . . . »

هند : « كأنها تناجي نفسها » أمر عنترة لم يعد
يشغل بالنا . . .

« عبلة تتابع غزلها غير معنية بما
تسمع . . . . »

الدنيا كلها تتحدث فى شأنه ... سوانا ... !

« عبلة كما هى صامتة . . . . . »

أحيٌّ هو أم ميت ؟ ... ألا نستطيع معرفةَ حقيقةٍ
نطمئن إليها ؟ ...

« عبلة منصرفة إلى مغزلها . . . هند
تثور فتجذب المغزل من يد عبلة . . . »

إن حركة هذا المِغْزَل تثير غضبي ...

عبلة : « ناظرة إلى هند » ثم ماذا يا هند ؟ ...

هند : ثم ماذا يا عبلة ؟ ...

عبلة : عجباً لكِ ؟ ... ماذا تريدين منى ؟ ...

هند : أريد أن أعلمَ : أحى هو أم ميت ؟...

عبلة : أوَ قيل لك إنى عرّافة أو ساحرة ؟ ...

هند : يجب أن تكونى عرافة أو ساحرة لتنكشفَ لكِ جَلِيَّة هـذا الأمر ... لماذا لم تشاركى رجال القبيلة فى الحديث حين خاضوا فيه ؟ . . . ألم تسمعى ما قالوا ؟ ...

عبلة : كنت أستمع لصوت مِغْزَلى ! ...

هند : أصبحتِ الآن لا تُفارقين هـذا المغزل . . . هو دائماً معك . . . وأنتِ على نفسك منطوية لا تنبسين بكلمة . . . ألا يَهمُّكِ أن تعلمى أن عنترةَ مازال حيًّا يرزق ؟ ...

« عبلة لا تجيب . . . . »

والأمير عُمارة ؟ ... ألا يَهمُّكِ من أمره شىء ؟ ...

« عبلة صامتة . . . . »

ستة أشهر مضت والأمير عمارة يجوب فيها البقاع ليلم شتات النياق العصفورية ... إن الناس ليتناقلون أنه موفق في مسعاه ... سيعود إليك يوماً ومن ورائه جموع النياق التي أرسلته في طلبها . . . إني لأسائل نفسي : كيف تصنعين إذا قدم عليك عنترة والأمير عمارة في وقت معاً ؟ ...

عبلة : « غير مهتمة » لا أصنع شيئاً ... !

هند : كيف ؟ ...

عبلة : هل قدم الأمير عمارة وعنترة ؟ ...

هند : لا ... ولكن ...

عبلة : أراك عجولاً . . . أتريدين أن تسبقي الحوادث ؟ . . . دعي الأمور تجري في أعنتها يا صغيرتي ...

« تجذب المغزل من يد هند . . . . »

هنـد : « وهى تحاول أخـــذ المغزل » لا . . . لا . . .
أتَبْغِينَ أن تعودى لِمِغْزَلِكِ وصمتك ؟ ...
هذا لا يطاق ! ...

عبـلة : أتحسَبين أنى أصمتُ إذا خلوتُ بمغزلى ؟ ... إنى
لأناجيه ويناجينى بأعذب الكلام ... تعلَّمى ياصغيرتى
أن تكونَ بينك وبين مغزلِكِ مناجاة ! ...

هنـد : لقد أصبحتِ أنتِ ودعجاء لا تأنسان إلا إلى المغزل
والصمت ...

عبـلة : أكذلكِ دعجاء حقا ؟ . . . سـينظر أيّنا
أسبقُ غزْلا ! ...

هنـد : مكتوبٌ لك الفوزُ دائماً ...

عبـلة : « ضاحكة » سأدعُها تفوزُ هذه المرة ...

هنـد : بربك خبّرينى ياعبلة ، أيما أحبُّ إليك ، حجرُ
الزبرجد أم النِّياق العصفورية ؟ ...

عبـلة : « تحدق فيها مبتســمة » وأنت ماذا تفضّلين .

لو كنت مكانى ؟ ...

هند : « بعد روية » كنت . . . أفضّل حجرَ الزبرجد . . .

عبلة : والنيّاق الألف . . . ألا يهفو لها فؤادك ؟ ...

هند : حجر الزبرجد أثمن وأغلى ! ...

عبلة : « وهى تربت خدها مداعبة » أنت تفضّلين يا بنيةُ صاحبَ الحجر لا الحجرَ نفسه . . . لقد شرع قلبُك يتفتّح حقّا ... حذارِ يا صغيرتى حَذار ... لقد أصبحتِ تنافسيننى فى حبِّ عنترةَ ، كدعجاء ...

هند : أتظنين أن دعجاء تنافسُك ؟ ...

عبلة : دعجاء تحِبُّ عنترة ... لم يعد ذلك سرا خفيا ... ألم تخط له قبراً ليكون لها مزاراً ومَبْكًى ؟ ... لقد جاهرتْ بمكنون قلبها حين ذاع نَعِى عنترة ! ...

هند : كان خيراً لها أن تجاهرَ بحبه ، وهو حى مقيم ! ...

عبلة : إنها لأحزم من أن تفعل ماتقولين ... إن الميت لا يعليك حبها قبولا ولا رفضا ... أما الحى ...

هند : « متممة الجملة » فقلبها لسان قد يجرح به قلبها إذا اقتضى الأمر ...

عبلة : قلت صوابا ... والآن وقد حملت إلينا الأنباء بعث عنترة ، زوجتها فى هدمت القبر وراحت فى لبوس العزاء الجليل تحاول أن تستر ذلك الهوى ..

هند : ليت شعرى ، ألأمير عمارة يهفو قلبها أيضا ؟ ...

عبلة : يجمل بنا أن نتريث حتى تنتهى إلينا الأخبار نعى الأمير ، لننظر : أتحفظ له ثبرا ؟ ولنوازن بينه وبين القبر المهدى سخطته قبلا لعنترة : أيهما أدل على صدق الهوى ؟ ... دعينا من هذا ... ألا نمضى لنستقبل عبير دمشق فى مقدمها إلى الحى ؟ ... لا ريب أنها تزخر بفاخر الثياب من سندس وديباج ...

هنـد : هيا ...

« تهمان بالذهاب فتلقاها أم هرم »

أم هرم : إلى أين تقصدان ؟...

هنـد : إلى حيث نستقبل عيرَ دُمَشْق ... نتخيّر من متاعها ما يحلو لنا ...

أم هرم : ليستْ بالعير ما حسبوها عيراً ... إنما هو جمع حاشد من الناس والجياد والإبل ... يبدو لى أنه رَكْبُ أمير عظيم ...

عبلة : أى الأمراء هو ؟...

أم هرم : إن الغبار المتكاثفَ ليعقِدُ حول الركب سحابةً كبيرة ، فلم نستطع أن نتبيَّن مَن القادم ؟ ... بيدَ أنى سمعتُ اسمَ الأمير عمارة على كلّ لسان ...

هنـد : أحقّاً هو القادم ؟...

عبلة : يا طالما حملت إلينا أم هرم أنباء عودة الأمير عمارة ، فلما استجلينا الخبر اتضح لنا كذبه ...

أم هرم : وما ذنبي يا بنية ؟ ... إنى أنقل ما تلتقطه أُذناى من حديث القوم ...

هند : وبماذا يتحدث القومُ اليومَ يا أم هَرِم ؟ ...

أم هرم : إنكما تكذِّبانِنى فى قولى ...

هند : أقسمتُ عليك أن تتكلمى ...

« تجتذب أم هرم كلا من هند وعبلة وتسر الحديث إليهما . . . . . . »

أم هرم : إن من بين رجال القبيلة من يتوجَّس شرًّا من هذا الركب القادم . . . ربما كانت غارةً يشُنها علينا أعداؤنا بنو فهْد . . . « لعبلة » إن أباك يجمع الجموع تحزُّباً وأهبة ...

« يقدم حازم مهرولا . . . . . . »

حازم : ألا تعلمُنَّ الخبر ؟...

عبلة : عجِّل وقل ؛ أحرب هى أم سلام ؟...

حازم : لقد تجلَّى الغبار عن وجهِ الركب ، فإذا بفارس يعدو نحونا ... فهل علمتنَّ من الفارس ؟ ...

عبلة : عجّل وقلْ . . . من هو ؟...

حازم : احزِرْنَ ! ...

أم هرم : أفى مقام دعابة نحن يا حازم ؟... أم تراك أثقلتَ في الشراب فجئتنا تهذى ؟...

عبلة : قل ، من الفارس ؟...

« يظهر عطمطم فجأة على رأس الربوة ، ثم يقفز دفعة واحدة ، فيغدو بينهم ، عليه ثياب فارسية ثمينة . . . . . . »

عطمطم : « وقد سمع سؤال عبلة » أنا الفارس ! ...

« عبلة وهند وأم هرم ينظرن إليه لحظة مشدوهات يصحن : عطمطم ! . . . عطمطم ! . . . »

أجل يا أحبائى ... عطمطم ...

« هند تتعلق برقبته متصايحة ... يلمع في رأسها خاطر فترنو إلى عطمطم جزعة »

هند : وعنترة ... أحى هو ؟...

عطمطم : إن الموت ليتهيّبُ الدنوَّ منه ...

« يتعاظم فى وقفته متفخماً . . . . »

لقد نصّبت عنترة أميراً على بلاد الترك ، يَجبى لىَ الخراج ، وينتقى لى غوالىَ التحف ...

هند : دع المزاح ... أين هو ؟ ...

حازم : إنه قادم فى حشْد مَهيب من بنى الحىّ ...

عبلة : « وقد أمسكت بيد عطمطم » لقد جلبَ لى معه حجرَ الزبرجد ... أليس كذلك ؟...

عطمطم : حجر الزبرجد ؟! ... لا علم لى بهذا الحجر ... لا أذكر من أمره أىّ شىء ! ...

عبلة : كيف ؟ ... ألم يجُبْ عنترةُ شرق الأرض وغربها بحثاً عن هذا الحجر ؟ ...

عطمطم : « يضرب كل جبهته بكفه » ذكرتُ الآن ... أليس هو ذلك الحجرَ الذى كان ُشغل عنترةَ الشاغل بُعَيْد ارتحالنا من البادية ؟ ...

عبلة : إنه هو ! . . . ليس ثمّة ما يشغَلُ عنترة غير هذا الحجر ! ...

عطمطم : الحرب يا ُبنيّة . . . الحرب ! . . . كانت

همَّ عنترة الأكبر ! ...

عبلة : ألم يَعرضْ عليه التجَّار حجراً من الزبرجد غير أصيل ، فأبى أن يقبلَه ، وأستأنفَ بحثَه الشاق ؟...

عطمطم : لا علمَ لى بشىء من هذا ...

هند : إن صِعابا شِداداً حاقتْ بكما فى بلاد الغُربة : مرضٌ فاتكٌ ، ضنكٌ مرهِق ...

عطمطم : « يقهقه مزهواً فى ذهاب وجيئة » بل قولى ياصبية : صحة موفورة ، غنى عريضٌ ، جاه كبير ... لقد أقبلتْ علينا الدنيا فلم نر إلا نعيما وعزة ... يبدو لى أن أخباراً عجيبة تَرَامَت إليكم فى شأننا ! ...

حازم : لقد حمل إلينا ابنُ فياض نَعْىَ عنترة ...

عطمطم : « مقهقها » ولماذا لم يحملْ إليكم نعىَ نفسه ؟ ... لقد لَقِيـنا فى وقت كانت الخمر فيه قد لعبت برأسه ، فلا غروَ أن يرى الأحياء أمواتاً والأموات أحياء !.

« تقدم دعجاء وغيلاء ... يقع بصرهما على عطمطم فتذهلان ...... »

دعجاء وبجلاء : « صائحتين معاً » عطمطم ! . . . عطمطم ! . . .

عطمطم : « مقبلا عليهما متصايحا » دعجاء . . . بجـــلاء . . .
يالله . . . كدت أنْــكِــرُكُمَـا ! . . .

دعجاء : لمــاذا ؟ ...

عطمطم : « وقد أحاطهما بذراعيه » ازددتما فتنة تتخاذل دونها
فتنة بنات فارس ! ...

بجلاء : وأنتَ . . . كدنا ننـكرك أيضا ! ...

عطمطم : أَعَظُـمَ حُـسنى ، وازداد جمالى ؟ ! ...

بجلاء : لا ... ولكن ...

عطمطم : « مقاطعاً فى تحسر » إذن لقد ذَبُلَـتْ فتنتى ،
وضاع عمرى ! . . . واحَـسرتاه عليك يا عطمطم ...
لم يَعدْ لكَ حَـظْـوَة عند بنات الحىّ ! ...

دعجاء : كدنا نـنـكركَ وأنت فى هذه الحـلـّة العجيبة ...

« تلتمس حلته متفحصة . . . . »

أم هَرِم : ما شـهدنا لهذه الحُلَّـةِ مثلاً بين أهل البادية ! ...

عطمطم : هذا حق . . . حُـلـّة فاخرة نادرة . . . « يتخطر فى

مشيته ، ولكن لا تنسَوْا أنها حُلة السفر . . . ماذا
تقولون إذن حين ترَوْنَنِي فى حللى الأخرى ، حُلَلِ
الحرب مثلا ، حُلَل المحافل ، حُلَل الولائم ...

حازم : إذن نظنك من أكاسرة الفرس أو قياصرة الروم ...

عطمطم : بل أبهى منظَراً ، وأسمى مقاما ! . . . آه لو رأيتم
ما حملناه معنا ! ... عجائب وغرائب ! . . أرْهفوا
أسماعكم يا أحبَّاى ... سأخبركم بما معنا ... قلت
لكم : أرْهِفوا الأسماع . . مطارف دِمَشْقية ،
حُلَلٌ مَرْزُبانية ، لاذات مَوْصلية ، نمارقُ
زَنْجانِيَّة ، سجوف بُوشَنجية ، طنافس شيرازية ...
أما الخدم والحشَم ، والأرِقّاء والجوارى ، فحدِّثوا
ولا حَرج ...

هند : جوار ؟ ...

عطمطم : أجل ... جوار تركيّاتٌ وروميّاتٌ وفارسيات ...
قِيان لا يوجدنَ فى قصور الملوك ...

أم هَرِم : يا لَلْعجب . . . أبهذا كلّه أتيتم ؟ ...

عطمطم : وأكثر . . . آه لو سمعتم هـــذه القِيان وهنّ يغنين ويعزِفن على آلات الطرب ! ... « لحازم » : ... ألك علم بآلات الطرب ؟ ...

حازم : إنها الطبلُ والمِـزمار ...

عطمطم : « مقهقها » ياللَشخفلة ... أىّ طبل وأىّ مزمار ؟ ... أرْهفوا أسماعكم يا أحباى ... إنها : الجَنكُ ، والأرْغُن ، والمِزْهَرُ ، والصَّنْجُ ، والقِيثارة ، والبَرْبَط ، و ...

أم هرم : « مشدوهة » البربط ؟ ...

عطمطم : أجل ، البربط ... البربط ... تن تن تن ... « يحاكى رنين الأوتار » لو سمعتِه يا أمّ هرم وهو يرسل أنغامَه العِذاب لرأيتِ هذه الباديةَ الجرداء وقد استحالت فِرْدوساً وارفَ الظلال ، تجوس خلالَه جداولُ من لُجَيْن ، ولأحسستِ قلبك يتّقد حبًّا وصَبابة ! ...

عبلة : « لعطمطم » لعلكم قد أصبتُم كنزاً ، أو أمطرتْكم

السماء ذهباً يا عطمطم ! ...

عطمطم : لا هذا ولا ذاك يا بنيةُ ... إنها الحرب ... الحرب الضَّروس ... بسواعدنا أصبنا ما أصبناه ... فى كل أرض هبطناها كان النصرُ معقودَ اللواءِ لنا ... لقد طوَّفنا فى البلاد شرقاً وغرباً ، جُزنا بِقاع السند ، وشارفنا جبال القَفجاق، طوينا سهولَ الشَّيروان والموقان ... تُلاحقنا الغنائم أنَّى حللنا ، وتُثقلُ الأسلابُ رواحلنا . . . ألم يترام إليكم النبأ العظيم ؟ ...

هند : أىَّ نبإٍ تريد ؟ ...

عطمطم : لقد عرضوا على عنترةَ مُلكَ كلوذستان الرَّحيب ...

الجمع : « يرددون » مُلكَ كلوذستان ؟...

عطمطم : ولكنه أبى ! . . . آثرَ على مُلك كلوذستان رجْعَتَه إلى الأهل والعشيرة ... آثر أن يستأنف معكم حياته الأولى ...إنه ليُكِنُّ لكم أعظمَ الحبّ

لو تعلمن يا أحبّاى ...

دعجاء : أكان يذكرنا ؟...

عطمطم : لم ينس منكم أحداً ... كان يذكر الصغير قبل الكبير ...

هند : ماذا كان يقول فى عبلة ؟...

عطمطم : « مفكراً » فى عبلة ؟... سألتنى ! ... « مفكراً أيضاً » ذكرتُ ، كان يقال إنها كالقطة ، لا تحسن غيرَ التخميش والمُواء ...

دعجاء : « ضاحكة ، لعبلة » لقد أحسنَ وصفَك يا عبلة ! ...

عبلة : إن تلك القطة هى التى يقول فيها :

أنت للعين ضياءٌ أنت للروح دواءٌ
أنت يا عبلة أُنْس لفؤادى وهناء

نجلاء : إنه شعرٌ قاله فيك قبل رحلته ...

عبلة : لقد كان يردّد شعره فىّ وهو فى بُحْران الحمّى ، وسيف الموت على رأسه مُصْلَت ! ... « لعطمطم »

ألم يفعل ؟ . . .

عطمطم : أذكر أنه كان يردِّد نشيدَه هذا فى بدء حياته هنالك . . . ولما طوته الحياة الصاخبة فى لجَّتها ، ودفعتْ به الحرب فى معمعانها ، رأيته قد استبدل بهذا النشيد نشيداً آخرَ كان يرغب إلىَّ فى أن أُلقيَه على سمعه ...

عبلة : « مهمهمة » أجَرُؤَ على أن يفعلَ ذلكَ ؟ ...

هند : أىُّ نشيد كنتَ تلقيه على سمعه ؟ ...

عطمطم : أرْهفوا أسماعَكم ...

« ينشد . . . . »

وفى يومِ المعامع قد تركْنا
لنا بفَعَالنا خَبَرا مُشاعا
أقمنا بالذوابل سوقَ حرب
وصيَّرنا النفوسَ لها متاعا
حِصانى كان دلاَّلَ المنايا
فخاض غمارَها وشرَى وباعا

وسيفى كان فى الهيجا طبيباً

يداوى رأس من يشكو الصداعا

حازم : « يضحك ، وهو يردد » يداوى رأسَ من يشكو الصداعا ! ... ما أظرَفَه ! ...

عبلة : « مهمهمة » سخف وهُراء ...

دعجاء : يلوح لى أنه كان لا يُعنيه إلا سيفُه وحِصانُه ...

عطمطم : الحرب . . . الحرب دائما كانت تملأ رأسه ، فلا يفكر إلا فيها ... « يلتفت إلى الواقفات حوله » ولكنه لم ينسكُن ... لقد أعد لكلٍّ منكنّ هدية فاخرة.

هند ودعجاء ونجلاء : « معا » بماذا أتى لنا ؟ ... بماذا أتى لنا ؟...

عطمطم : صبرَكُنّ يا صغيراتى ... إنه سرّ لعنترة لا يبوحُ به لأحد ...

عبلة : إنى أعرف ما خصنى به ... لا أجشمك مشقة البوح بالسرّ ... إنه حجر الزبرجد ! ...

عطمطم : ليس لى أن أتكلمَ فيما لا أدريه ، ولكنى على يقين أن وِفاضه مَلأى بغوالى التُّحف وروائع الأمتعة

وبدائع الحُلىّ ... اطمئنوا ... لَيَغْدقَنّ عليكم طرائفَه ! ... لم أحدثكم بعدُ فى أعجوبة الدهر ومعجزة الدنيا ...

هند : ماذا تقصد ؟ ...

عطمطم : أقصد بَهْرُوزَ ... الطاهى الذى استقدمه عنترة معه ليُعِد لكم طعاماً لم تعرفوا له من قبل مَذاقًا ...

أم هرم : كيف ؟... أليس فينا من تحْسِنُ طَهْىَ الطّعام؟...

عطمطم : وهل تحسَبين يا أُمّ هرم أن عنترةَ يُسيغ الآنَ أكل الثريد والجَبيع ؟.. إن طاهيَنا نَوْبَنْدَجانىٌّ المنْبت ، قد بَرَع فى صنع الفالوذق المُزَعفَر ، واللَّوْزِينَج المعطر ، والطَّباهِج الرَّشْرَاش ، و ...

« تسمع ضجة ، فيمسك عن الكلام عطمطم ، وينصت الجمع ... ثم يصيح عطمطم . . . . »

إنه هو ... عنترة ...

حازم : « وقد تطلع إلى مبعث الضجة » هاهو ذا مع الشيخ

مالك ، وحولهما لفيفٌ من بنى العشيرة ...

« لا تكاد عبلة تسمع ذلك حتى تنسلّ إلى خبائها فتغيب فيه ... عند نقفوا أثرها . »

دعجاء : « لنجلاء ، جانباً » يحسُنُ بنا ألا نلقاهُ فى هذا الحشْدِ الجمّ ... هلمّى نرحل يا نجلاء ...

نجلاء : « لدعجاء ، هامسة » حقا لا يحسُن بك أن تلاقيه وأنت عاطلٌ لا زينةَ ولا طيب ! ...

دعجاء : حسبُك ! ... ما هذا ؟ ...

« تنصرفان الضجة تزداد ، ويسمع تصايح القوم وهتاف الفتيان وأغاريد النساء . عنترة يبدو فى حلة بالغة البهاء ، وهو يتخطر فى مشيه ، وقد أحاطت به من رفقته لمة ، بينهم مالك وابن فياض وسراقة وبجير وابن الزاهد . . خلف عنترة مواليه فى ثياب فارسية زاهية ، وهم شاه و السلاح ... »

عنترة : « فى لهجة الإمارة ، لأحد مواليه » هيّا ... لا تتوانوا فى ضرب الخيام ، وأحسنوا تنسيق البُسُط ، ونشرَ النمارق ، وتعليق النباريس ، وإطلاق البَخُور ... أسرعوا ...

مولى عنترة: السمع والطاعة ! ...

« ينصرف مهرولا . . . . . . »

عنترة : « لمولى ثان من مواليه » مرهم يفكّوا وَثاق الصناديق ويضعوها فى الخباء الكبير ... وليقم على حِراستها أزدشيرُ ... أسرعوا ...

المولى الثانى: السمع والطاعة ! ...

« ينصرف مهرولا . . . . . . »

عنترة : « لمولى ثالث من مواليه » قل لبهروز انحر عشرين جزوراً ، وفرق لحومها فى الناس ... وقل لرنجان امنح ذوى الحاجة أعطيات من الدراهم والدنانير ...

المولى الثالث: السمع الطاعة ! ...

« ينصرف مهرولا . . . . . . »

عنترة : « لمولى رابع من مواليه » وهذا الرجل الذى تصدى لى فى الطريق مستخفّا فصرعتُه ، ماذا صنعتم به ؟ ...

المولى الرابع: ألقينا جُثّته بجوار صخرة معاد ...

عنترة : فليُدقّ له عمودٌ هناك ، ولتعلقْ جُثّته ثلاثة أيام نُهْبَى للنّسور والغربان ... لقد تصدى لعنترة ،

فليلق أشدَّ النّـكال ! ...

« ينصرف مهرولا . . . . . . »

عنترة : « يتلفت حوله » أين أرديل ؟ ... أين أرديل ؟ ...
« تمضى برهة لا يجيب فيها أحد فيصيح » : أين
أرديل ؟ ... « يظهر أرديل وهو يرعد خوفا » أقبلْ
أيها الآذِن الماهر ... كيف سمحتَ لهذا الأعرابى
أن يتصدَّى لى فى الطريق ؟ ...

أرديل : « فى ذلة وتخوف » مولاى ... لقد كنت ...

عنترة : اذهب إلى بِسطام فدعه يضرب بك خمسين سـوطاً ،
جزاء تفريطك ! ... « يتضرع أرديل ويتشفع ...
يرميه عنترة بنظرة نكراء » قلت لك امض إلى بسطام
يُنفذْ فيك عقوبة التفريط ... خمسينَ سوطا ! ...

أردبيل : « وهو يطأطىء رأسه » أمرُ مولاى ...

« ينصرف ... يقع بصر عنترة على حازم
وأم هرم . . . . »

عنترة : « لحازم وأم هرم » من أرى ؟ . . . حازماً ؟ . . .
أمَّ هرم ؟... أقبلا ، أقبلاَ ، « يبسط لهما ذراعيه »

فيقبلان عليه ، فيحييهما ، كيف أنتما ؟ ...

حازم : بخير ما دمتَ أنت بخير يا بُنىَّ ...

أم هرم : ألف حمد لله ... لقد اكتحلتْ بمرآك عيناى قبل أن أموت ... بلغتُ مناى ! ...

عطمطم : تموتين ؟ ... من قال ذلك ؟ ... إن الموت لا يتوخى الصبايا يا أُمَّ هرم ! ... إنه ليستحى أن يمدَّ مِنجله ليحصُد الغصنَ الرطيب ! ...

عنترة : « متلفتا حوله » ما أسعدنى بلُقياكم بعد طول ارتحال ! ...

مالك : لقد سُعِدَتْ بأوبتك الديارُ يا فتى العرب ...

سراقة : لقد عاد إلى البادية ربيعُها الذى يُنعمُ عليها بالنماء والخصبِ والنضارة ...

بجير : لقد استيقظتْ أفئدتُنا ، ودبت فيها الحَميَّةُ والفتوَّة بعد أن ران عليها سُبات عميق ...

عنترة : ألم تكن لكم غزْوة من الغزَوات فى مَغيبى ؟ ...

ابن الزاهد : كانت لنا مناوشات لا شأن لها ... أعوزَنا الرأسُ

المدبّر ، والساعدُ الأشدُّ ، والقلب الجسور ، فتهيَّبنا جلائل المواقع ! ...

عنترة : إنى لمشوق إلى الخروج معكم فى غزوة نفتك فيها بالعدوّ ... خبّرونى : ألم تؤمّروا عليكم سيداً يقود جموعكم إذا جدّت الحرب ، بعد أن أتاكم نَعِيٌّ ؟ ...

« يتبادل بُجير وابن الزاهد نظرات الحيرة » ...

ابن الزاهد : لم نصدّقْ شائعاتِ السوء ... أنت السيدُ غبتَ أو حضرت ... طال عُمرُك ! ...

عنترة : « يلتفت إلى ابن فيّاض » ولكن أخانا هذا يدّعى أنه أنزلنى اللحدَ ووسّدَنى التراب ...

ابن فياض : لم أنبس بمثل هذا القولِ يا عنترة ...

عنترة : « مغضَبا » بل نَبَستَ بما هو أدهى ...

عطمطم : لقد رآنا فى كِرمانِ يمُدُّ يدَ السؤال لكل رائح وغاد !.

عنترة : أعنترة شَريد يستجدى ؟! ...

« يمسك با بن فياض من قفاه ، ويهزه » أتجرؤ أن تقول مثل هذا ؟...

ابن فياض: نزلتْ عليّ من السماء صاعقةٌ إن كان لسانى قد جرى بمثل هذا ...

عنترة : « وقد دفع ابن فياض فألقاه بعيداً » لم ينتهِ حسابُك معى بعدُ ... اغْرُبْ عن وجهى الآن ...

« ينصرف ابن فياض الى جانب وهو يتعثر وجلا . وهند تسارق النظر من جانب الخباء ثم تخرج ، فيقع عليها بصر عنترة ، فيحدق فيها مليا . . . . »

من ؟ ... هند ؟ ... أقبِلى ... أقبِلى ...

« يبسط لها ذراعيه ، فتدنو منه فى تردد وخجل . . . . »

لم هذا التباطؤ ؟ ... تعالىْ إلىّ ...

عطمطم : إن هنـــدا لَحَيِيَّةٌ ... إنها لأقرب شَبَهاً بالنَّيْلُوفَرةِ الغضَّة ... تخشَى دائماً ألحاظ الرقباء ... !

مالك : نَيلُوفَرةٌ ؟ ... ماذا تَعْنى ؟ ...

عنترة : « ناظراً إلى هند » لقد أحسن الوصفَ عطمطم ... إن النَّيْلوفَرَةَ أميرة زهر الماء يا هند ...

هند : « وقد تدانت منه » عنترة ...

عنترة : « وقد أحاطها بذراعيه » إن شمسَ البـــادية يا غادتى الصغيرة تجيد إنضاج الأجسام . . لقد أصبحتِ فتنةَ الصحراء ! ...

هند : وكيف أنت ؟ ... ألقيتَ من السفر عناء ؟...

عنترة : إن كل عناء ليذوبُ ويتزايل حين تَقَرُّ العينُ بمرأى الأهل والعشيرة ... وأنتم ، كيف حالكم ؟ ...

هند : نحن فى خير وسلام ...

عنترة : وصُويحباتكِ ؟ ... كيف حالهن ؟ ...

هند : كاهن على ما يرام ، كنّ دائما يسألنَ عنـــك ويَتَسَقّطنَ أخبارك ...

عنترة : لا أرى منهنَّ واحدة ...

هند : تركتُ عبلةَ فى الخباء تَتَأهّبُ للخروج إليك ! ...

عنترة : « وقد بدا عليه تنبه ويقظة » عبلة ... كيف هى ؟ ...

« تنظر عبلة من جانب الخباء . . . . »

أما بَرحتْ على حالها طفلة تخمش وتموء كالقطة

العابثة ؟ ... « يقهقه عنـــترة فيتضاحك الجمع مجاراة له » ... لماذا لم تجىء ؟ ... « تقبل دعجاء ونجلاء » ... من ... أرى ؟ ... دعجاء ؟ ... نجلاء ؟ ... أقبلا ... أقبلا ...

« يحييهما مشرق الوجه . . . يلتفت الى عطمطم . . . . »

ما قولك يا عطمطم فى غيد البادية ؟ ...

عطمطم : نَسَيْلٌ وقُرَاتٌ نواضرُ نماها جدولٌ رَقْرَاق ! ...

عنترة : « لدعجاء ونجلاء وهند ، ناظراً إليهن بشغف » حقاً ما أسعدنى برؤيتكن ! ...

مالك : عجباً لعبلة ... أين هى ؟ ! ...

هند : « منادية » عبلة . . . عبلة . . . إن عنترةَ يطلبك

« تظهر عبلة أمام خبائها متلفعة بجلد الضرغام . . . تلبث واقفة كأنها ترتقب تقدم عنترة لتحيتها . يقبل عنترة فجأة على مالك منهمكا فى الحديث . . . . . »

عنترة : « لمالك » كان المطر غزيراً هذا العامَ فى البادية فلم تَشْكُ قحطاً ولا جدْبا ... أليس كذلك ؟ ...

مالك : كان الخير وافراً ...

« تسرع هند إلى عبلة وتودع سمعها كلمات »

هند : « لعبلة » تقدَّمي .. يلوح لي أنه لم يرَكِ ...

« تلبث عبلة واقفة ... تصيح هند بعنترة »

تلك هي عبلة ... عبلة ...

عنترة : « يلقي نظرة على عبلة ، ويقول في لهجة لا تخلو من مجاملة » عبلة ... تقدَّمي ... كيف أنتِ ؟...

عبلة : « وهي في مكانها » أنا بخير ... وكيف أنت ؟...

« يذهب مالك إلى عبلة ، ويأخذ بيدها إلى عنترة . . . . »

مالك : « لعنترة » إنها حَييَّة ... نفور ...

عطمطم : نيلوفرةٌ أخرى ! ...

عنترة : « لمالك » عهدتها شيطانة لا تفتأ تلهو وتعبث ! ...

مالك : ذلك عهدٌ مضى ... لقد تغير اليوم طبعها ، وبدلت حالاً بحال ! ...

هند : إنها تلوذ الآن بالصَّمت ، وتلازمُ دائماً مخدَعها .

عنترة : « لعبلة » كيف ؟... أكذلك أصبحتِ حقاً ؟...

عبلة : لا مبالغةَ فيما سمعت ! ...

عنترة : ولمَ تلوذين بالصمت وتلازمين المنزل ؟ ... أفى صحبة الناس ما تضيقين به ؟ ...

عبلة : « رافعة بصرها إليه محدقة فيه » لقد بدا لى أن الوفاء فيهم قليل ... !

عنترة : الوفاء يا فتاتى كلمةٌ جليلة المعنى ، أخشى ألا تكونى مدركة إياه ...

عبلة : إنى لأدْرك معنى الوفاء حقّ الإدراك ! ...

عنترة : « متضاحكا ، وهو يميل على مالك » إنها تتكلم بلهجة الحكماء والكُهّان ! ...

مالك : ألم أقلْ لك إنها تبدلت خَلقاً آخر ؟ ...

هند : « لعنترة » أتجدُها قد تغيرت حقاً ؟ ...

عنترة : « محدقا فى عبلة ، مخاطباً هنداً » أراها قد ازدادت سُمرة ! ...

هند : إنها لعلى خلاف ذلك ... كيف تزدادُ سُمرة وهى لا تَريمُ خباءها إلا قليلا ؟ ...

عطمطم : قد يكون قولك الحق يا هند ... ولكن لا تنسَ أن عيوننا قد ألفتْ رؤية البيض النواصع من نساء الفرس والروم ، فأصبحنا نرى لونكن أشد سمرة مما كنا نرى ...

مالك : وهل فى السمرة ما يُعاب ؟...

عطمطم : لا ... إنما هى الحسنُ خالصاً ! ...

ابن فياض: « لعطمطم » ربما كان لعنترة رأىٌ غير ما ترى ...

عنترة : الحقُّ أن لكلٍّ لون روعته ... فالنياق تختلف ألوانها ، ولكل لونٍ فضلٌ ومزية ...

هند : ما هذا ؟... أنياقٌ نحن ؟...

عطمطم : فيكنَّ منها شبَهٌ : الرشاقةُ ، والدلال ، والنفار ، والظَّرف ، والحماقة ، و ...

مالك : لم يُخبِرْنا عنترة أىَّ ألوان النياق يفضِّل ؟ ...

عنترة : « متضاحكا » ألوانها عندى سواء ... ولقد اقتنيت منها طائفة مختلفة الألوان ، وإنى بها لسعيد ...

عطمطم : هذا شأن عنترة مع الجوارى أيضاً ...

سراقة : « لعنترة » عجباً لك يا عنـــترة . . . ألا تُؤثر لوناً على لون ؟ ...

عنترة : فى أىّ النوعين : الجوارى أو النّياق ؟...

سراقة : « متضاحكا » فى كليهما ...!

عنترة : حين يشتبه علىّ الأمرُ أدعو بعطمطم يتخيّر لى! ...

« يتضاحك الجمع .... »

عبلة : وهل يُحسُّ عطمطم ما يهفو إليه فؤادُك ؟ ...

عنترة : إنى بذَوقهِ لراض على أية حال ... وإنه ليُحسن الاختيارَ أيّما إحسان فى هـــذا الأمر وحده ! ... ولستُ أعهد إليه فى اختيار سيف أو فرس ، فهذا أتولاه بنفسى ، ولا أعوّل فيه على غيرى ! ...

عطمطم : إنك لتغلو يا سيدى ...

ابن فياض: « لعطمطم » حسبُكَ ما نلتَ من خبرة ومجد فى شئون الجوارى والنياق ! ...

« يتضاحك الجمع ... يدخل مولى من موالى عنترة ويدنو منه . . . . . »

المولى : وَفَدَتْ أشياخ بنى الأرقم وبنى أيْمَن وبنى صاعد ترغب فى لقائك ...

عنترة : أدْخِلْهم الفسطاط الكبير ... « لمالك » ... ألا تَسْبِقنى إليهم ؟ ... إنى لاحق بك بعدهنيهة ... أريد أن أستبدلَ بثيابى ثيابا أخرى ...

مالك : سأفعل ... « يلتفت إلى الجمع » فلننهض إلى الوافدين لِنؤدّىَ لهم حقَّ الحفاوة ...

« ينصرف مالك والجمع فى أثره ...
لايبقى إلا عنترة ، وعبلة ، وهند ، ودعجاء
ونجلاء وعطعطم .... »

هند : « لعنترة » كيف ترى البَيداء بعد غيْبَةِ عامين ! ...

عنترة : أراها كما هى ، فريدةً فى عظمتها ! ...

هند : إنك لتخادِع نفسَك ...

عنترة : كيف ؟ ...

دعجاء : هند على حق ... لقد ألِفْتَ حياةَ الحَضَرِ ، وتعودتَ عيشَ الرخاء والترف ، فليس بِدْعا أن تبدوَ لك البيداء تافهة تبحث على الملل ! ...

عنترة : حسبي أن أحيا بينكن ، فأحس الدنيا حولي فردوس بهجة ونضارة ! ...

هنـد : خداع ومغالطة ! ...

عنترة : ما برحتِ على حالكِ يا هندُ طفلةَ ملئتْ عناداً ... أخطأت إذْ حسبتك قد صِرْتِ صبية مكتملة العقل ... أين فيما قلت المغالطةُ والخداع ؟...

هنـد : أتريد الحقَّ الصّراح ؟...

عنترة : لا أريد سواه ...

هنـد : إنى لا أكاد أعرفكَ ! ...

عطمطم : اذهب فاستبدلْ بثيابك الفارسيةِ ثيابَ البادية حتى لا ينكركَ الأهل ...

عبـلة : الثياب مظهرٌ خارجى لا شأن له بباطن النفس ...

عنترة : أتغيرت حقاً ؟ ...

هنـد : إنى لا أنظر إليكَ نظرة إلا عرَتنى رِعدة ... !

عنترة : « ضاحكا » أوَأصبحت مخيفاً إلى هذا الحد ؟...

عطمطم : كنتَ قبل أن ترتحل عن البادية مخيفاً ... لست أنسى

أن الأمهات كن يخوّفن بك أطفالهن ! ...

عنترة : « يرمقه بنظرة شزراء » عطمطم ! ...

عطمطم : لماذا تنظر إلىّ هذه النظرة . . . لزام علىّ أن أصارحك بالحق !...

عبلة : « لعنترة » لم يفترِ عليك عطمطم ... لقد كان ظاهرك يلقى الرعب فى النفوس ، ولكنك كنتَ تُكِن بين جوانحك قلبَ حَمَلٍ وديع ! ...

عنترة : « لعبلة » والآن أىّ قلبٍ أُكِن بين جوانحى ؟ ...

عبلة : سؤالٌ جوابه إليك ! ...

هند : يبدو لِى أنه ليس قلب حَمَلٍ على أية حالٍ ! ...

عطمطم : القلب لا يتبدّل ...

نجلاء : قد يعترى القلبَ بعض التغيُّر ...

عبلة : ولكنّ جوهره يبقى كما هو ...

دعجاء : قد تتغير اتجاهاته ومنازعه ...

عبلة : العبْرة فى كلّ شىء بالجوهر ...

دعجاء : إن القلبَ يَلين لملابَسَات الحياة ودوافعها ...

عنترة : أسائل نفسي : أينا الذى تغير ، أنا أم أنتن ؟ ...
أهؤلاء صبايا البادية اللواتى تركتهن غريرات
فى سذاجة الطفولة ؟ ...

عبلة : أكنتَ تريد أن نظلّ أطفالا أبدَ الدهر ؟ ...

عنترة : كلا ... وكذلك الحَمَل الوديع لا يظل أبدَ الدهر
حَمَلا وديعا ! ... إنه ليغدو كَبْشاً عنيفا ... !

عبلة : إن بين الكِباش ما ينكشف لك عن وداعة
الحُملان ! ...

هند : أجبنى يا عنترة ، فيم طالت غيبتك ؟ ...

عنترة : شغلتنى الحرب يا هند ... لا أنتهى من موقعة حتى
أخوض غِمار أخرى ... والحرب يافتاتى سحر يأسر
القلوب ! ... إنها الحرب : سيوف تلمع ، ورءوس
تتطـــاير ، ودماء تتسايل ، وغبار يعقِد فى السماء
سحائب ، وأصوات هدّارة يردّد أصداءها الفضاء
الرّحْب ... وأنا على صهوة « الأبجر » : حِصانى
الأعزّ يصدع بحمحمته الصفوف ، وبيمينى « الظامىء »

سيفى المسلول تتهاوى على حدّه الهامات ... تلك هى الحرب التى وهبْتها عقلى وقلبى ، ووقفتُ عليها عمرى أجمع ! ...

هند : ولكن خبرنى : أمن أجل الحرب رَحلْتَ عن الديار ؟ ... ما كانت المعاركُ تعوزُك فى البيداء ! ...

عنترة : ليست معاركُ البيداء بالتى تَشْفِى غُلَّةَ الصادى... شراذمُ قليلةٌ يعادى بعضُها بعضاً فى غير حَمِيَّةٍ ولا تحمس ! ... أمّا هنالك فجيوش حاشدة ينحسر عنها الطَّرفُ ، إذا أقبلتْ أو أدبرتْ خلتَها العباب تتدفّع أمواجُه ويعلو صَخَبه ، ثم لا تنجلى الموقعة إلاّ عن أسلاب وغنائمَ يُخطئُها الإحصاء ، وإذا بالمنتصر تدين له بلاد وخلائق ، وتنحنى له رءوس زانَتْها التيجان ، وإذا بالدنيا مقبلة تزُفّ الجاه والسلطان ! ...

هند : كلنا يعلم أنك رحلتَ عن الديار من أجل عبلة ... تطلب لها حجرَ الزبرجد ! ...

عنترة : « مردداً فى تذكر » حجر الزبرجد ؟ ... حجر الزبرجد ؟ ... ربما كان ما تقولين حقًّا ، بيد أنى ما كدت أغادرُ الديار حتى ألفيتُنى قد اندفعتُ فى حربٍ موصــــولةِ الوقائع ، لا أُبالى إلا النصر وكسبَ المغانم ... وأبصرت الفرصة قد واتتنى لأقيم لهذا « العربىّ » الذى استهان بهِ أعلاجُ العجم صرحاً يتعالى على كل صرح ، ومجداً يتصاغرُ دونه كل مجد ... لقد تركتُ فى كل بقعة حللتُ بها أثراً مذكوراً من آثارى، وخبراً ذائعاً من أخبارى ، فالناس يتناقلون حديثى فى رَهبة وإكبار ...

دعجاء : حَسَنٌ ما تقول ، ولكنّ أكبرَ الظن أن الحربَ لم تكن وحدَها شُغلَكَ الشاغل ! ... ليس ببعيد أن تكون حياةُ الفرس بما فيها من مناعمَ وأطايب هى التى حجزتْك عنا هذا الزمنَ الأطوَل ! ...

نجلاء : حياةُ رفاهة فى القصور بين الغوانى والقِيان ... نحن نعلم أن لعنترةَ قلباً طيّعاً لألحاظ الحسان ! ...

عنترة : كان لى هذا القلب أيامَ كنتُ أسْـرَحُ فى سذاجة البداوة ... أما اليومَ وقد خضتُ غمـار الحياة فى فارس، وبلوت معابثاتِ الهوَى بين الغِـيد، فلم يعد لى فؤاد يَهتزّ لسحر العيون ! ...

دعجاء : وهاته الجوارى اللواتى يزدَحِم بهن خباؤك ؟ ...

عنترة : إنهن لِسوانح المتعة وحسبُ ... « يخاطب الجمع » : لمـاذا لم تسائلننى عما أحضرتُ لكُنّ من هدايا وطُرَف ؟...

عطمطم : يا لها من هدايا وطرَف ! ... حلىّ نادرة ، وملابس فاخرة : أقراط ، وشنُوف ، ومعاضد ، وعصائب ، وخلاخـــل ، ودمالج ، ودُرّاعاتٌ ، وتُبّانات ، وقراطق ... حتى الخِـفَـاف المبرقشة لم يَنْسها ... آه من الخفاف المبرقشة يا أحبّاى ! ... شد ما تجمُـل القَدَم فى هذه الخِفاف حين تتخطر على البِساط الموشَّى ! ... كل ذلك لكنّ أنتن ، يتحف به عنترة صويحاته الصغارَ من بنات العشيرة ... « يهمس فى

آذانهن » : إنه ليضمرُ لكنَّ أكبر الحب ! ...

هنـد : ألسنا لهذا الحبِّ أهلا ؟ ... سلنى ماذا فعلتْ هذه الصويحباتُ الصغارُ حينما جاءهن نبأ مصرعه ...

عنترة : ماذا فعلتنَّ ؟ ...

نجلاء : أقامت دعجاء لك قبراً كانت تسُحّ عليه الدموع ، تناجيك وتناديك ...

عنترة : « وقد شد على يد دعجاء » يا للشوفاء ! ... وأين مكان هذا القبر يا دعجاء ؟ ...

دعجاء : لقد هدمتُ القبر يا عنترة ! ...

عنترة : كيف ؟...

هنـد : هَدَمَتْه حين انتهى إليها أنك ماتزال حيّا .. ماأغناها عن القبر الآن ، وقد رجَع إليها صاحبُ القبر ! ...

عنترة : « لهند » وأنت يا صغيرتى ماذا صنعتِ حين وافاك نَعِيِّى ؟ ...

نجلاء : كانت تذهب إلى الربوة ؛ ربوتك التى كنت تألفها ، فتذكرك وتناجيك ! ...

عنترة : « لهند » لقد أحسنتِ الاختيار ... شكراً لكِ ! ...

« يلتفت إلى نجلاء » وأنتِ ماذا كان صنيعك ؟...

هـند : كانت توم الشُّعْبَ الذى كنتَ تتخذه مَرْقَبة لصَيدك ، فتذكرك وتناجيك !...

عنترة : « لنجلاء » يا لنَبالة النفس ! ...

«يقف أمام عبلة محدقاً فيها ملياً» وأنتِ ماذا فعلت؟.

هنـد : كانت تختلفُ إلى غدير ذات الإصاد ...

عنترة : ما أجمَلهُ مكاناً !...

هنـد : بل ما أعَزَّه من مكان ! ... أليس هو موطنَ حبكما ومهدَ هواكما ؟ ...

عنترة : ظريف ما تقولين ... « لعبلة » أكنتِ تختلفين إلى غدير ذات الإصاد لكى تذكرينى وتناجينى ؟ ...

عبـلة : كلا ...

عنترة : إذن لم تفعلى من أجلى شيئاً ! ...

عبـلة : ماذا كنتَ تريد منى أن أفعل ؟...

عنترة : أن تَذْرِفى علىَّ دمعة واحدةً ... واحدةً على الأقل!.

عبلة : كنت أعلم أنك عائدٌ إلينا لا محالة ...

عنترة : أكان محالا أن أهلِكَ ؟...

عبلة : لن تهلك قبل أن تنيلني ما طلبت ! ...

عنترة : « ضاحكا » لقـــد جلبتُ معى عجائبَ وغرائب ، فتخيرى منها ما تحبين ...

عطمطم : « لعنترة » أما آن للصناديق أن تفتح ، وأن تنسمَ الهدايا عبيرَ الصحراء ؟...

نجلاء : فى الوقت فُسحة ...

عطمطم : خيرُ البرِّ عاجله يا حسناتى ! ...

عنترة : إنه ليذوب شوقاً إلى فتح الصناديق من أجل نفسه ...

دعجاء : « لعطمطم » ألك فيها مآرب ؟ ...

عطمطم : مآرب شتى يا حسناتى ! ... لقد وعدنى مولاى عنترة أن يخصنى بطرف نفيسة ، جزاء ماصنعت من جميل !.

عنترة : أصنعتَ لى جميلا ؟... أخبرنى ما هو ؟...

عطمطم : أتنكر أنك أنجيتَنى من هلاك محتوم فى وقعة « المناطر » ؟...

عنترة : أذكر ذلك ...

عطمطم : لو منعتُك أن تُنجيَني ، وتركتُ جسمي تخترمُه سيوفُ العِدا ، فماذا كان يقع ؟...

عنترة : كنتَ تموتُ ويعفو أثرُكَ ...

عطمطم : بل إن عنترة العظيم هو الذى لا قدر الله يندثر أثره ، ويضيع ذكره ! ... إن متَ عطمطم راويةِ عنترة وناقل أخباره ومذيع اسمه فى الخافقين لَيُعد من المصائب الجِسام التى ألزمتُ نفسى بأن أدفعها عنك ... اطمئن ... ان أتخلّ عنك قط أيها المولى العزيز !...

عنترة : حقًّا ما أكرمَ ما صنعت ! ...

« تتضاحك الفتيات . . . . . . »

عطمطم : « للفتيات » إن من بين ما وعدنى عنترة بإهدائه إلىَّ ، طيلساناً من الخزّ الخُسروانى له لون الأُرجُوان ... ليس فى سائر التحف ما يَعدله نفاسة إلا طيلسان شيخنا مالك ... إلىّ يا صويحباتى ، إلىَّ لكى أطلعكنّ على ما لا عين رأت ولا أذنٌ وعت ولا خطر ببال !.

هنـد : هيَّا . . .

عنترة : « لعطمطم » افتح الصناديق ودعْ الفتيات يتخيرنْ ما يحببن ... أسامع أنت ؟...

عطمطم : السمع والطاعة لمولاى ...

« ينصرف آخذاً بيد هند ومعها دعجاء وبخلاء ... تبقى عبلة مع عنترة . . . »

عنترة : لِمَ لمْ تمضى مع عطمطم لتختارى لك شيئاً ؟ ...

عبـلة : ليست هديتى التى أريدها من هذه الهدايا ... أنتَ بهديتى عليم ! ...

عنترة : تعنينَ حجر الزبرجد ...

عبـلة : لا أعنى سواه ! ...

عنترة : ألا تروقك قلائد العِقيان ، وعقود الجُمان ؟...

عبـلة : يروقنى أن تنجز وعدك إياى ! .. وعدك الذى من أجله اغتربت ، وفى سبيله تجشمتَ المصاعب والأهوال ...

عنترة : « متضاحكا » إنك طلبتِ شيئاً أثمن من حجر الزبرجد ! ... لقد كان يباع فى أسواق فارس كما

يباع التمر فى الوادى ...

عبلة : ألم تحضره ؟ ...

عنترة : أَمُصِرَّةٌ أنتِ على أن تطلبيه ؟ ..

عبلة : سبق لى أن طلبتُه ، وسبق لك أن وعدتنى به ... هذا كلُّ ما فى الأمر ! ...

عنترة : سأكلف عطمطا أن يحضره لكِ الآن ...

« يلتفت نحو الطريق الذى سلكه عطمطم ، ويهم بأن يناديه . . . . »

عبلة : لا تَعْجَلْ ... إنه الآن فى شغل ... يوزع الطرف على الصويحبات ...

عنترة : ودِدْتُ أن تنتقى لكِ بعضَ تلك الطرف ... ما قولك فى الخلاخل العسجدية المرصَّعة بفصوص اللؤلؤ ؟ ...

عبلة : لا أُحب الخلاخل ، إنها كقيود الأسرَى تشعر من يَلبَسُها بالمذلة ! ...

عنترة : عجبا ... أتَرينها كذلك ؟ ...

عبلة : وإنى لأرى « الرجلَ » مشغوفاً دائماً بإهدائها

إلى من يحبّ ! ...

عنترة : « مبتسما » أرجح أنه يؤثِر ذلك ليضمنَ بقاء محبوبته فى كنفه ...

عبلة : وإذا كانت محبوبتُه مقيمة على عهده ، وفية لودّه ، فما حاجتُه إلى القيود ؟ ...

عنترة : ... ألا تروقك الدُّرّاعات ؟ ... لقد جئت بأشكال بديعة منها ...

عبلة : إنى لأوثر عليها قمصانَ البَدو ...

عنترة : « وهو يتفحص ثيابها بنظراته » ماذا تلبَسين ؟ ...

« يلاحظ أنها متلفعة بجلد الضرغام . . . »

عبلة : إنك لترى ما ألبَس ...

عنترة : جلد ضِرغام ...

عبلة : كلا . . . إنه جلد الضّرغام يا عنترة . . . ألا تذكر موقعتَه ؟ ...

عنترة : أذكرها ... لقد كانت إحدى معابثات الصبا ! ...

عبلة : كادت معابثات الصبا هذه توردِك موارد الهَلَكة ...

عنترة : يا َللسَّذاجة ! ... أية هلكة يا عبلة ؟ ... إن صراع الضرغام ليعد مداعبة إذا قيس بصراع الجحافل فى ساحة الوغى ! ... « يحد بصره فى جلد الضرغام » ... أراك مازلت متعلقة بجلد ضرغامك هذا على الرغم مما لحقه من تغير ...

عبلة : إنى لمِمَّن يتعلقْن بأذيال الماضى ، ويَحفظْنَ العهد ، حتى لِيسَقط المتاع ! ... ربما كان ذلك فيما ترى سذاجة وقِصَرَ نظر ! ... « تتفحص جلد الضرغام مليّا » ... أنتَ على حق ... لقد أدركه البِلَى ... فما يجمُل بمثلى أن تلبَسَه ... سألقِى به !

« تخلع عن كتفيها جلد الضرغام وترمى به أمام الخباء » : ... ذكَّرْتَنى أمراً ، لمْ أسألْك كيف كان صَنِيعُك بقلْبِ الضرغام بعد أن أصبت منه مَقْتَلا ؟ ...

عنترة : عجيبٌ أمرك يا عبلة ... تسألينى عن أشياء لا أعى منها قليلا أو كثيراً ! ...

عبلة : قيل لى إنكَ أخـــذت قلبَه معك تَذكاراً لهذه المرقحة . . .

عنترة : « مبتسما وقد عقد يديه إلى صدره » أحقا أخذتُ قلب الضِّرغام معى ؟ ... لو كنتُ فعلت لكان قد أصابه العَطَب ! ...

عبلة : جوٌّ فارس قُلَّبٌ لا يساعد على حفظ قلوب الضراغمة ! ...

عنترة : قد يكون ذلك ...

عبلة : ما أضعفَ هـــذا القلبَ الذى لا يقوى على تَقلّب الجوّ ! ...

عنترة : ليس لضعف القلب شأن ، إنما هى سُنّة الكون : تغير وتبدّل بين عشية وصباح ! ...

عبلة : يخيل إلىّ أن هذه السُّنَّة لم تغزُ بعدُ صحراءنا الجافة ، حيث تظل القلوبُ فيها على حال واحد ، لا يدركها الوَهَنُ وإن طال المدى ! ...

عنترة : ما زلتِ تذكرين الصحراء كأنها قلبُ الدنيـــا

الخفاق . . . أنت تعيشين يا صغيرتى فى هذه البقعة معصوبةَ العينين لا تُبصرين شيئاً من حقائق الحياة.. لو تخطيتِ حدودَ مكانكِ لأسفرتْ لك الدنيا عن عوالمَ رحبة زاخرة بشتى الطرائف والأعاجيب!

عبلة : « وقد أسبلت جفنيها متحسرة » ما حاجتى إلى هذه العوالم إذا فقدتُ قلبى، وأضعت وجدانى ! ... إنى لأوثر على هذا أن أقضىَ عمرى لا أسمع ولا أُبصر!.

عنترة : لغو أطفال ! ...

« يظهر عطمطم فى ضجة ، وهو يحمل صندوقاً ، وحوله هند ونجلاء ودعجاء ... يضع عطمطم الصندوق جانبا ، فتبدأ الفتيات فى تقليب ما فيه وتعرف محتوياته ، إلا عبلة ، فانها تلزم مكانها لا تريمه ، فيلحظ عنترة ذلك منها . . . . »

عنترة : ألا يَروقكِ شيء مما ترَين ؟ ... عندى طرائف غير ما فى هذا الصُّندوق ...

عبلة : لقد أخبَرتُكَ بَطِلِبَتى ! ...

عنترة : « وقد التفت إلى عطمطم » إلىّ بِعُصابة العقيق.

المفضضة ! . . .

عطمطم : تلك هى منى . .. لقد قدّرْت أنك تطلبها . . . إنها طائفة من روائع القلائد ! ...

« يخرج العلبة من صدره ، ويقدمها الى عنترة . . . يبحث عنترة فيها ، ثم يأخذ منها حجر الزبرجد . . . . »

عنترة : لعبلة ، هاكِ ما تطلبين ! ...

« تأخذ عبلة من يده الحجر فى صمت ، وتقلبه فى يدها برهة . هند ونجلاء ودعجاء يقبلن عليها متطلعات ... تأخذ هند الحجر من يد عبلة وتحدق فيه . . . . . . »

هنـد : أهذا حجر الزبرجد ؟ ...

عبـلة : هو عينُه يا صغيرتى ! ...

هنـد : ليس فيه ما يُغْرِى ! ...

عبـلة : وليس فيه ما يسوّغ تجَشُّمَ الأهوال فى طلبه ! ...

عنترة : لستُ من الحماقة بحيث أدع مثلَ هذا الحجرِ يكلفنى أىَّ عناء ! . . . لقد عهدت إلى أحـــد موالىَّ فى الحصول عليه ، فجاءنى به من أهون سبيل ...

دعجاء : « وهى تنظر فى الحجر متفحصة » حقًّا إنه حجر نفيس ! ...

عبلة : إذا كنتِ فيه راغبة فإنى أهَبُكِ إياه طيّبة الخاطر ! ...

دعجاء : إنه لك وحدك . . . لقد جلبه عنترةُ من أجلك أنت ! ...

نجلاء : دعجاء تَنطِقُ بالحق ... حجر الزبرجد ضالّتك المنشودةُ منذ أمَدٍ يا عبلة ، فما لدعجاء أن تسلبَك إياه ! ...

دعجاء : ليس من شيمتى أن أسلبَ صديقتى شيئاً يصبو إليه قلبها ! ...

عبلة : إنى فيه زاهدة ، وعن رضاً منى أنزل لكِ عنه ...

هند : « لدعجاء » أمُعجَبة أنت به حقاً ؟

دعجاء : لقد قلت إنه حجر نفيسٌ ، وكنى ...

عبلة : إنها معجبة به أبداً ... ومازلت أقول إنى لن أتردّدَ لحظةً فى أن أهَبها إيّاه ...

عنترة : لو كنت أعلم أن دعجاء مَشُوقة إلى هذا الحجر ، جلبتُ لها مثله ...

عبلة : « لعنترة » أحسَب أن دعجاء تُؤثِر على هذا الحجر تلكَ الخلاخلَ العسجدية المرصعة بفصوص اللؤلؤ !... هبْها خَلخالا ...

« تتضاحك وهى تتلاعب بالحجر فى يدها »

دعجاء : ماذا تقصدين يا عبلة ؟...

عبلة : لا أقصد شيئاً ...

عطمطم : أُقسم بربّ الكعبة إنى لم أفهم شيئاً مما قلْتن ...

عبلة : إن من النِّعَم الكبرى على المرء ألا يفهمَ !...

« تسمع ضجة صادرة من بعيد . . . . »

عنترة : ماذا ؟ ... « لعطمطم » امضِ فاستطلعْ الأمر...

« لا يكاد عطمطم يتهيأ للانصراف حتى يرى حازم مقبلا يهرول . . . . . »

عنترة : ما وراءك يا حازم ؟...

حازم : « فى شىء من الذعر » الأمير عمارة قَـدِمَ اللحظة

ثائراً مُتحنقاً ...

عبلة : « وقد قفزت إلى حازم » والسّياق العُصفورية ؟...

حازم : إن فضاء الصحراء ليضيقُ بها ...

« عبلة يبدو عليها الابتهاج . . .

حازم يقول لعنترة : . . . . . . »

إن الأمير عُمارة يامولاى لا يؤمَن له جانب ،

فلتكن منه على حذَر ! ...

عنترة : « وقد أدركه بعض الضيق ، ولكنه يتمالك ويتكلف

الضحك » الأمير ضيف ، فمِم الحذر ؟ ...

« يظهر الأمير عمارة بغتة على رأس الربوة ...

فيقف وقفة المتحدى شاهراً سيفه ...... »

عطمطم : الأمير عمارة الكِندى ...

« الجمع يتطلع إليه . . . . »

عنترة : « صائحاً » مرحباً بالضيف الكريم ...

« الأمير عمارة يثب من الصخرة ، ويخطو

بضع خطوات ، ثم يقف مرفوع القامة شامخ

الأنف ، مصوبا الى عنترة نظرات بغيضة ...

عنترة يتابع قوله : . . . . »

تقدم أيها الأمير .. إن عنترة ليرحبُ بقدمك !

« الأمير يسير بخطا وئيدة تنم عن اعتداد بالنفس وكبرياء . . . . »

عمارة : « لعنترة » أتذكر يا عنترةُ ما قلتُه فى آخر لقاء بيننا ؟... لقد قلتُ لك إننا سنلتقى يوماً !...

عنترة : « متكلفا الابتسام » وقد التقينا ... !

عمارة : أعلى حرب ؟...

عنترة : بل على سلام ووئام !...

عبلة : « وقد تقدمت من الأمير تحييه تحية بالغة » أهلا بالأمير عمارة ... كنا نرتقبُ أوبتَكَ ... إن أرجاء البيداء لتتجاوبُ بهدير النياق !...

عمارة : إنها ألف لا ينقصها واحدة ...

عبلة : عُوفيتَ أيها الأمير ...

عمارة : « لعنترة » وحجر الزبرجد ؟...

عنترة : لقد زهدَتْ فيه عبلة !...

عمارة : يبدو لى ...

عبلة : « لعنترة » يسرنى أن أعلمك الخبر . . . خطبنى الأميرُ عمارة ، وقد رضيته لى بعلا ...

عنترة : « ينظر إليها برهة نظرة تفحص ، ثم يقول فى تباطؤ » ما أجملَ أن يجتمع الحسبُ العظيم والفتنة النادرة! ... أهنئكما ! ...

عمارة : يبدو لى ...

عنترة : « مقاطعاً وهو يربت كتفه » يبدو لك أنه ليس ثمة بيننا ما يبعثُ على الضغينة ...

عمارة : « وهو يهز يد عنترة » ما أعزّنى بصداقتك ! ...

عنترة : « وهو يهز يد الأمير عمارة » ما أكرمَ صحبتك !

هند : « كأنها تحدث نفسها » شىء لا يطاق ... « لعطمطم » احملْ لنا الصندوقَ إلى الخباء . . . لا أستطيع أن أنتقىَ منه شيئاً هنا ...

عطمطم : رأى صائب ... هيا ...

« يطلب إلى حازم أن يحمل الصندوق »

فيحمله ويمضى به ومعه عطمطم . . . »

هنـد : « لدعجاء ونجلاء » ما وقوفكما هكذا ؟... ألا ترافقانيني لنتخيّر التحف ؟...

نجلاء : لعل دعجاء تؤثر أن تبقى ، ألا ترين الطريق إلى عنترة قد تمهّد ؟...

دعجاء : « فى أنفة » شدّ ما تخطئين إذ تحسبينني من هـــذا الصنف ... لقد قلتُ لكِ غير مرة إن دعجاء تعاف أن تشرب ثمالة الكأسِ من أحد ! ... هيّا نتخير التحف ..

« تنصرف دعجاء ونجلاء ، تهم هنـد بالانصراف فتستبقيها عبلة وتنتحى بها ناحية .... »

عبـلة : « لهند » سأرغب إليك فى شيء ... فهل تجيبيني إليه دون أن تسأليني إيضاحاً ؟ ...

هنـد : لكِ مني ما تشائين ! ...

عبـلة : أرغب فى أن تطلبي الفتى « سيفاً » ... زامر الحى ...

هنـد : إنه منّا عن كثبٍ يجوس خلال الخيام ...

عبلة : إذن ... اسمعى يا هند ... عِى ما أقول ...

« تسر إليها حديثا . الأمير عمارة وعنترة فى مكانهما يتضاحكان ويتنادران »

أفهمتِ يا هند ؟...

هند : فهمتُ يا عبلة ...

عبلة : أجْزلى عطاءه ...

هند : أفعلُ ...

عبلة : عوفيتِ يا أختاه ! ...

« تنصرف هند . . . . »

عنترة : « لعبلة » أحسَب أن النِّياقَ التى جلبها معه الأمير عمارة إنما ساقها لكِ مَهرا ...

عبلة : أصبتَ ... إنها لألف كاملة ... ألف من النياق العُصْفورية النادرة ...

عمارة : ومن أكرمِها عنصراً ! ...

عنترة : لستُ فى ذلك بِمرتاب ... كم لبثت فى سبيلِ جمعها ؟...

عبلة : ستةَ أشهر ...

عنترة : أليس هذا بكثير ؟ ...

عبلة : إنه أقلّ من عامين اثنين كما ترى ... !

« فترة صمت . . . . »

عنترة : « للأمير عمارة » ومن أىّ الأصقاع لمت شتاتها ؟ ...

عمارة : من أسواق كثيرة ... لقد طوّفت فى بلاد عدّة ...

عنترة : لِمَ لمْ تقصد خسروان ؟ ...

عمارة : أوفيها هذه النياق ؟ ...

عنترة : تغصّ بها الأسواق ...

عبلة : كحجر الزبرجد ... !

عنترة : قلتِ حقاً ... « للأمير عمارة » لو كنتُ أعلمُ حاجتكَ إلى هذه النياق لجلبتُ لك منها ما تريد ...

عبلة : « لعنترة » ولكننى طلبتها منه ...

عنترة : هذا حق ... « للأمير عمارة » إنى لأرجو أن تصلنى بالأمير أواصرُ مودّة لايشوبُ صفاءها كدر

عمارة : إنى لك دائماً صفىّ وفى ...

عنترة : لقد ساءنى ما شجرَ بيننا من خلاف قُبيلَ ارتحالى

إلى فارس ! ...

عمارة : إن حفاوتك بى وحسن لقائك إياى اليوم قد محوا ما سلف ...

عنترة : لقد كنتُ فظاً جافى الطبع ... !

عمارة : ولكنك اليوم تقطر ظرفا وتسيل رقة ... !

عبلة : لشدّ ما تغيّر ... إن هواء فارس قد بدّل كثيراً من شمائله ...

عنترة : « لعبلة » وهواء الصحراء ؟ ... ألا يكون له أثر فى تغيير الشمائل وتبديل الطباع ؟ ...

عبلة : لا يقل شأناً عن هواء فارس فى هذا الأمر ...

عمارة : « لعبلة وعنترة » ألا تذهب لنشهد النياق العصفورية فى مُناخها ؟ ... « لعنترة » إنك بها لخبير ...

عنترة : سأغيب عنكما ريثما أبدّل ثيابى ...

عمارة : « لعبلة » هيّا قبل أن يرخى الظلام سدوله ...

عبلة : امض بنا ...

« ينصرف الأمير عمارة ومعه عبلة ...... »

يشيعهما عنترة بنظراته ، ثم يعتلى صخرة
فيجلس عليها ... تتوافد طلائع الليل ...
يرنو عنترة إلى السماء مرتقبا طلوع
القمر . . . يلوح القمر زاهيا وعنترة
ما برح شاخص البصر ... يبدو الفتى سيف ،
ويقف عن كثب من عنترة منزويا عنه تخفيه
الظلال . . . ثم لا يلبث أن يشدو . . . »

سيف : « منشداً » أنتِ للعين ضياءٌ أنتِ للروح دواءْ
أنتِ يا عبلة أُنسٌ لفــؤادي وهناءْ

« يتسمع عنترة وهو ناظر إلى القمر كأنه
فى حلم ، يقف بغتة وقد تملكه الغضب ...
يتلفت حواليه . . . . »

عنترة : « صائحا » مَن هنا ؟ ...

« يقع بصره على سيف ... يدنو منه ،
ويمسك به ، محدقا فيه . . . . . . »

مَن ؟ ... مَن ؟ ...

سيف : « فى مسكنة وتذلل » أنا سيف ... خادمك ...
سيف يا مولاى ...

عنترة : أما زلتَ حيّـا أيها الكلبُ الشريد ؟ ... ما أتى بك هنـــا ؟ ...

سيف : جئتُ أناجى نفسى بأنشودةٍ فى ضوء القمر ...

عنترة : أَبقصيدى تناجى نفسك أيها الوغْـد ؟ ... كيف استبحتَ لنفسك أن تتغنىّ بشعرى ؟...

سيف : الخلْقُ كلهم يَـتَـغَـنَّـوْنَ بشعرك ، ويتذاكرون أخبارَك ! ...

عنترة : حتى الصعاليك من أمثالك ؟ ! ...

سيف : أصعلوك أنا يا مولاى ؟ ...

عنترة : انظر إلى هيئتك ...

سيف : اخلعْ علىّ مُطْـرَفًـا من مطارفك الفارسية تجْـمُـلْ هيئتى ويَعْـلُ مقامى ! ...

عنترة : أمسكْ عليك هذَرك ... قلت إنى لا أُحبّ أن يلوكَ الصعاليكُ قصيدى ... أفاهم أنت ؟ ...

سيف : إنى لكَ مطيع يا مولاى ...

« عنترة يدفعه . . . يبدو عطمطم . . . »

عطمطم : أنتَ هنا يامولاى والجمعُ هنالك ينتظرُ قدومَك ؟...

عنترة : ما بدَّلتُ ثيابى بعد ...

عطمطم : وما منَعَكَ أن تُبَدِّلَ ثيابَك ؟ ...

عنترة : « متضايقا » ثَرثرتك وغباوَتكَ ! ...

« يلتفت إلى الفتى سيف » ما بَرِحتَ هنا ؟ ...

اغرُبْ عن وجهى ...

« يهرع الفتى سيف متعثراً . . . . . »

عطمطم : « وهو يتابع الفتى سيفاً بنظره » مَن ؟ ...

عنترة : كلب من كلابِ الحىّ ، اقتحمَ علىّ خلْوَتى ، ليقلق راحتى بإنشاده ...

عطمطم : ماذا كان يُنشِد ؟ ...

عنترة : نَشيدى لعبلة ... عَبَثٌ من عبثِ الصِّبا الغابر ...

عطمطم : بل إنه لأروَع ما نظمتَ ...

عنترة : أتُسَمِّى هذا شعراً ؟ ... ما أسقمَ ذوقَك ! ...

عطمطم : أتذكر يامولاى أنك صُغتَ هذا النشيد وقلبُك بالحبِّ مُفْعم ؟ ...

عنترة : « متضاحكا » أىّ حُبٍ يا عطمطم ؟ ... كنت غَرِيراً لا أفْقَه كُنْهَ الحياة ...

عطمطم : لقد كان حبُّك عميقاً ، ولقد كان يلهمك بدائع القصيد ! ...

عنترة : كان ذلك فى غابر الزمان ... عهد تقضّى ! ...

عطمطم : ولكن الشعر باقٍ لا يفنى ... إنه منقوش على صفحة قلبى ...

عنترة : اقتصِدْ فى ذكره على لسانِك ...

عطمطم : لِمَ ؟ ...

عنترة : لقد خطبَ الأميرُ عُمارةُ عبلةَ ، ومودّتى للأمير مَصُونة لا أريدُ أن تُجْرَحَ ... فلتنسَ هذا الشعرَ القديمَ الذى عَفَّى عليه الزمن ! ...

عطمطم : يالضيْعَةِ ما وَعَاهُ صدرُك ياعطمطم ! ...

عنترة : لماذا ؟ ...

عطمطم : ماذا تركتَ لعطمطم أن يَرْوِيَه عنك ؟ ... إن قصيدَك كلَّه فى عبلة ! ...

عنترة : وشعري في غيد فارسَ وصبايا الرومِ والترك؟...

عطمطم : لن يَبُوحَ لساني بشيء مما قلتَه فيهنّ . . .
أَوَحَسِبْتَ أنك قلتَ فيهنّ شعراً ؟ ...

عنترة : أَحْظُرُ عليكَ إنشادَ شعرٍ قلتُه في عبلة ...

عطمطم : حسبي أن أُسْدِلَ عليّ أستارَ الخِباء، فأنْشِدَه لنفسي ! ...

عنتره : إنك لتثيرُ غضبي ...

عطمطم : « وهو إلى القمر ناظر » تَمَلَّ هذا الضياء الباهر فإن غضبَكَ لا شكَّ يخبو ... يالَجَمَال القمر في أفق هذه البيداء ...

عنترة : « وقد رفع إلى القمر بصره » إن القمرَ لجميلٌ في كل أُفق ...

عطمطم : إن له لسحراً لا يَعْدِله سحر، وهو يُطلُّ على هذه الصحراء الرحيبة ذات البساط العَسْجَدِيّ ، وقد نشر فيها الصمتُ لواءه ...

عنترة : ألا يَفتِنُكَ قمرُ فارس ؟ ...

عطمطم : إنى بقمر البيداء لأشَــــدُّ كلفًا ... انظر إليه
ألا تراه يَـرِفُّ بابتسامته الوضَّاحة ، ويرنو
بعينيه الساحرتين ؟ ...

« يأخذ بيد عنترة ويسايره . . . . . »

يخيل إلىّ أن شَفَتَـيه الزاهيتين تترنمان بأعذب
النَّغَم ! ...

« يمضيان فى سيرهما مغادرين المكان ... »

ألا تصافح أذنك وسوستُه ؟ ... يالروعةِ الألحان
ينشدها هذا الملكُ البَهِىّ ...

« يبدو الفتى سيف وهو يسير الهوينى
فى محاذرة متغنيا .... »

سيف : « ينشد » :

أنتِ يا عبــلة أُنسٌ لفــؤادى وهنــاء
حينما ترضَــينَ عنى يمــلأ القلبَ الرجاء
فإذا الدنيـــا نعيمٌ وإذا الكون صفاء
وإذا بى فى حبـــور وابتهـــاج وازدهاء

الفصل الرابع

المنظر الأول

« الوقت : عشية ... أمام خباء عبلة ...
عبلة ودعجاء ونجلاء جالسات يغزلن ... على
مقربة منهن هند وقد تملكها ضيق ... يبقين
على حالهن فترة . . . . »

هنـد : الغَـزْل والصمت ... دائماً الغزل والصمت ! ...

دعجاء : وماذا تبغـِين منا أن نفعلَ ؟ ...

هنـد : أن تتحدَّثن ... أن تتجادَلن ... أن تتنازعْـن ! ...
إنى لأفضِّـل أن أراكنَّ وقد تضاربْـتن وتماسكتنَّ
على أن أراكُـنَّ تجلِـسن لا تنبِـسْـنَ ، وإن كنتنَّ
على صفاء ! ...

نجلاء : أتـكرَهينَ أن يَحِـلَّ الوئام بين عبلةَ ودعجاء محلَّ
الخِـصام ؟...

هنـد : ودِدْت ألا يدوم هذا الوئام ...

عبلة : ألا يحق لنا أن نهدأ ونَقِرَّ بعد أن طالَ بنا عهد الشَّحناء ؟ ...

هند : مضتْ عشرونَ يوماً وأنتُنَّ فى خمول ... منذ قدِم عنترة لم يَنْشَبْ بينكما نزاع ... كان يقينى أن سَيِّدَ الفوارس سيعودُ إلينا حاملاً معه بِذْرة التنافس والشِّقاق ...

دعجاء : فكان أنْ عاد إلينا حاملاً بذرة السلام ، ناشراً بيننا لواء الوئام ! ...

نجلاء : وحسناً فعل ... إنه أعلنَ منذ قدومه أنه قد نفَضَ يديه من شُئون الغرام ، فلم يعُدْ للتنافس بيننا سبيل ...

عبلة : وقد نفضْنا نحن منه أيديَنا ، قبل أن ينْفُضَ يديه ...

نجلاء : ليس فى هذا ما يضِيرُنا أو يضيره ... إن عنترة يُكِنُّ لنا أصفى مودة وأصدقَ إخاء ... لقد أتحفَنا بفاخِر الهدايا .. إنه وَايْمُ الحقِّ لفارس

مهذبُ النفسِ كريم الخصال ...

عبلة : وما رأيكِ فى الأمير عمارة ؟ ...

نجلاء : لا يقلُّ عن عنترة صفاء سريرة ونقاء نفس وشجاعةَ قلب ...

عبلة : بل يفوقُه ! ...

دعجاء : ألأنه خطيبكِ تحاولينَ أن تُغدقى عليه من المزايا فوق ما يستحقُّ ؟ ...

عبلة : إن الأمير عمارة سيدُ هذه البادية غيرَ مُنازع ! ...

دعجاء : ما أعجب أن تفاضلى بين عنترة وبين الأمير عمارة! ...

عبلة : لا تتمادىْ يا دعجاء فى التَّمدُّح بعنترة ، فتثيرى حولك غُبارَ الظنون ...

دعجاء : أيَّة ظنون أُثير غبارَها ؟ ...

عبلة : لقد دفنتِ حبَّك فى القبر الذى حفرتِه لعنترة ... فلا تنشُرى رُفات الموتى ...

دعجاء : وحبُّك إياه ... ماذا صنع الله به ؟ ... يخيَّل إلىَّ أنه ما برِح يضطرم ناره بين جوانحك فيأكلها ! ...

نجلاء : أثمة مشاحنة تبدأ آنها ؟ ...

هند : « مبتهجة » دعيهما ... دعيهما ...

عبلة : ليس ثمة من مشاحنة ... إنما هى معابثة أختين ...
أليس كذلك يا دعجاء ؟ ...

دعجاء : الأمر كما تقولين يا عبلة ...

عبلة : « لدعجاء » أريد أن أجلو لك بعض ما قد يغمض
عنكِ . . . أنا لم أحب عنترة ، ولكنه هو الذى
أحبّنى ...

دعجاء : ربما كان قد أحبّك ... أحبك فى زمنٍ مضى ...

عبلة : لقد جلب لى معه حجر الزبرجد ...

دعجاء : تزعمين أنه ما فتىء بك هيمان ؟...

هند : ولم لا يكون كذلك ؟ ...

عبلة : لقد تجشّم فى الحصولِ على حجر الزبرجد جسام
المصاعب ...

دعجاء : قصارى الأمرِ أنه وعدكِ بإحضاره لك ، وما كان له
أن يخالف الوعد ! ...

نجلاء : ألم نقُلْ إنه فارسٌ مهذب النفس كريم الخصال ؟...

عبلة : يُحسِن اختيارَ الهدايا لصواحبه ...

دعجاء : ليس حجر الزبرجد بأثمن مما خصَّنا به ...

عبلة : (لدعجاء ، ضاحكة) أصبت ... ولذلك قذفتُ به في الخباء ، فلم أُعِرْه جانب اهتمام ... أما هديته لك : تلك القلادة والقُرط والخَلْخال ، فإنك تتحلَّين بها على الدوام ... ما أشدَّ اعتزازَكِ بهديَّته !...

نجلاء : اعتزاز صديقةٍ وفيَّة لا ترضى لنفسها إنكار الجميل ...

عبلة : ولكن دعجاء تحرِص على أن تبدو في هذه الحليّ أمام عنترة ، اجتذاباً لناظره !...

دعجاء : أأنا التي تحاول اجتذاب ناظره ؟ ... ألا تَرَيْن إلى نفسك وقد اتَّخذْتِ على جبينك هذه العصابةَ التي لا تستبدلين بها غيرها ؟ ...

عبلة : إنها من سَقَط المتاع ...

دعجاء : بل إنها هديته إليك قُبيْل ارتحاله ... ولطالما كانت حبيبةً إليه ، ولطالما كان حريصاً على أن تتعصَّبي بها

حين تَلتقيْنَه ، فكنت تأبين اتخاذها تمنعاً ودلالا ... أما اليوم يا عبلة ، فإنك ...

عبلة : « وقد نزعت العصابة عن رأسها » . . . أما اليومَ يا دعجاء فإنى أنزِل عنها لكِ ، إذا طمحتْ إليها عينُكِ ! ...

« تمد يدها بالعصابة إلى دعجاء » لعلّ لك فيها أرَبًا ... إن عبلةَ لا تنصب هـــذه الأحابيلَ الرخيصةَ لصَيْدِ القلوب ! ...

دعجاء : أمسِكى عليك عصابتك... إنى لا ألاحِق الرجال وهم عنّى مُعرضون ...

عبلة : ماذا تريدِينَ بقولك هذا يادعجاء ؟ ...

نجلاء : يا لله من هذه المهاترة ! ... هلاّ كففتُما عن هذا النزاع ؟...

هند : وَدِدْتُ أن يَفجَأنا عنترةُ الآنَ ليرى ويسمعَ ما يدور فى شأنه ! ...

نجلاء : ألا فلندعْ حديثَ عنترة ، ولنحسمْ هذا الشّقاق...

عبلة : « وقد تمالكت » لا شِقَاقَ ... إنما هو تجاذُب كلام ! ... أليس كذلك يا دعجاء ؟ ...

« تقول ذلك غير ناظرة إليها . . . . . »

دعجاء : الأمر كما تقولينَ يا عبلة ...

« تقول ذلك غير ناظرة إليها أيضا . . . »

نجلاء : يسعدني أن أراكما تتصافيان ...

دعجاء : « وقد أخذت مغزلها وجلست جلستها الأولى وشرعت تغزل » إن الصفاء يملأ قلبينا دائماً ...

عبلة : « وقد بدأت هي الأخرى تغزل » لم نكن في وقت ما أصفى قلباً مما نحن الآن ...

« نجلاء تقبل كذلك على مغزلها . . .
فترة صمت لا حركة فيها إلا حركة الغزل...
هند ترنو إليهن . . . . »

هند : « مغمغمة » ما أشقى البادية بتلك المغازل . . .
آه ، لو كان في طوقي أن أحطمها لما أبقيت منها شيئاً ! ...

« الصمت يتتابع . . . . »

إن تلك المغازل تجلب لى دُوَاراً ...

« تصيح » دواراً تضيق به علىّ الأرض ! ...

نجلاء : « تقف مغزلها ، تقول لهند » لقد أراحكِ الله من مغزلى ... لم يبق لدىّ من صوف أغزله ! ...

هند : أحمد الله على هذا ...

« لدعجاء » وأنتِ ، ألـمَّا يَنْتَهِ الصوف الذى معـك ؟ ...

دعجاء : « تقف مغزلها » قاربَ أن ينتهى ...

« تنهض نجلاء . . . . »

نجلاء : « لدعجاء » ألا تصحبيننى لآتىَ بصوف جديد ؟ ...

دعجاء : حبًّا وكرامة ...

نجلاء : « لعبلة » ألا تمضين معنا ؟ ...

عبلة : « وهى على مغزلها عاكفة » ما زال الصوف بين يدىّ غير قليل ... ولكنى بكما لاحقة عمَّا قريب ! ...

نجلاء : لا تبطئ عنا ...

عبلة : لن أبطىء ...

« تنصرف دعجاء ونجلاء ، عبلة تسوى
العصابة على جبينهما كما كانت من قبل ... »

هند : « مبتسمة ، لعبلة » إنه يجوزُ بهذا المكان قُبَيْلَ
الظهيرةِ كلَّ يوم ... !

عبلة : « متباهلة » أليس هذا طريقه إلى مَضْرِبِ خيامه ؟...

هند : إن الطرقَ شتى ...

عبلة : « مبتسمة » إنه يَسْلُك أيسرَ الطرق .. لا يريد أن
يُعَرِّجَ على الطرق الصغيرة ، خَشيةَ أنْ يقولَ الناس
إنه يتجنَّبُ هذا الطريق المسلوكَ ، فِراراً من عبلة ...

هند : أو قد شرع يفكر حقاً في الفِرار منك ؟ ...

« عبلة لا تجيب ... فترة صمت ... ثم تقول هند : »

ولكني أسائل نفسي : لماذا تتعرضين لعنترة بُغْيةَ
تصيُّدِه ، وأنتِ للأمير عُمارة مخطوبة ، وزواجك
منه وَشيك ؟ ...

عبلة : « متضاحكة » يروق عبلةَ أن تلهوَ ...

هند : أيّهما تؤثرين : عنترة أم الأمير ؟...

عبلة : أنا لا أُوثرُ أحداً ... كلاهما إلىَّ يسعى ... !

هند : ومن منهما تتزوّجين ؟...

عبلة : الأمير عمارة ...

هند : أنتِ لا تُكنّين له حبّاً ...

عبلة : كثيراً ما زُفّت الفتاةُ إلى من لا يهفو فؤادها إليه ! ...

هند : ياالقلبكِ القاسى العنيد... ما أحبَّ لكِ أن تتلهّىْ بقلوبِ الرجال ... وما يستحقّ منك عنترة هذا الجزاء ! ...

عبلة : ألم يَلْهُ بنا ياهند ؟... أما رأيت كبرياءه وتعاليه علينا وهو يتشدّق بأنباء فارس وأحاديث بلاد الروم ؟... ألم يعلن أنه أصبحَ سيدَ قلبه ، وأن غرامه الأول لم يكن إلا ضلالةً صحا قلبه عنها ؟ ! ...

هند : وما أنتِ صانعة ؟ ...

عبلة : لست بصانعة شيئاً ...

هند : عجباً ...

عبلة : قلت لك إن عبلة يروقها أن تلهو ...

هند : والفتى سيف ، ما خطبه ؟...

عبلة : ألم تَرَيْه ؟... إنه دائم الاختلاف إلى عنترة ...

هند : ينشد الأناشيد الرقاق ...

عبلة : أناشيدى التى يتغنىّ فيها عنترة بحبى ويشيد بصفاتى ...
إنى أتبين سيفاً قادما . . . ليتك تحدثت بشىء
طيب ! ... « يقدم الفتى سيف » : تعال يا سيف ...
أحسنتَ بحضورك الآن صنعاً ...

سيف : مولاتى ...

عبلة : هل من جديد ؟ ... قلْ لى : أيأنس عنترة بأناشيدك
أم ما فتىء صادفاً عنها ؟...

سيف : إنه لَيَنْتَهِرنى تارة ويُغضى تارة أخرى ! ...

عبلة : لا أريد منكَ أن تلاحقَه ...

سيف : إنى ألاحقُه ، ولكنى أتوخّى أُوَيْقات صفوِه ...

عبلة : « لهند » القمرُ يا هند فى اكتمالِ تألقِه ... وشدَّ ما يحلو التَّنزهُ فى فيْضه البَهِىّ ! ...

سيف : إنهـا لأمْسِيَّاتٌ رائعـة تتأرَّجُ بأنفاسِ الأزاهير ...

عبلة : « لسيف » والبَخور الذى أعطيتُكَ إياه ؟ ...

سيف : كلما واتتْنى الفرَصُ تسللتُ إلى خيمته فى جُنحِ الليل ، فملأتُ المجامرَ بهذا البَخور ...

عبلة : حسناً ...

« تخرج من صدرها صرة فتناوله إياها . . . . »

سيف : شكراً مولاتى ... بقيتِ وبقيَتْ عطاياك ! ...

عبلة : والآن أنتَ وشأنُك ...

« ينصرف سيف وهو ينحنى تحية لها ... »

هند : وما سرُّ هذا البَخور ؟...

عبلة : إنه خليطٌ من أعوادٍ ذكيَّة الرائحة لا يَعلم سرَّها سواى . . . كنتُ أُطلِقُ هذا البَخور حين

كان عنترةُ يلقانى فى الخباء ... فكان به شديدَ الشَّغَف ! ...

هند : أتظنِّينَ أنه يأبه له اليوم ؟ ...

عبلة : اعلمى يا هندُ أن الأطياب خصائصَ عجيبة ...
إنها لتتغلغلُ فى شِعاب القلوب وتبلغ أعماق السرائر ، فتبعث من مَراقدها غابرَ الذِّكرَيات ، وتلهب ما خمدَ من كامِنِ العواطف ... كل ذلك فى لُطف وعذوبة ولين ... إنها لتفعل فعل السحر ... ذكَّرْتِنى ... ألا تُحْضرين لى آنية الطِّيب من الخباءِ ؟ ...

هند : أيةَ آنية ؟ ...

عبلة : الآنية النحاسيَّة ...

هند : طِيبك القديم الذى هجرته زمناً ... أراكِ تعودين إليه ! ...

عبلة : إنه طِيبُ عنترةَ المفضلُ لديه ...

« تحضر هند آنية الطيب فتأخذ عبلة فى التطيب به »

هند : « فى دعابة » ألا تدَعِينَني أتَطيَّب بِطِيبِكِ هــذا ؟ ...

عبلة : لن يتطيَّب بطيب عبلةَ أحدٌ سواها ...

« يسمع خفق أقدام . . . تلفت هند »

هند : إنه لقادم ... سأدعكِ له ...

« تختفى هند . . . يبدو عنترة . . . يلمح عبلة بباب خبائها ، فيتدانى إليها . . . »

عنترة : نَعِمَ مَساؤكِ يا عبلة ...

عبلة : نَعِمَ مَساؤكَ يا عنترة ...

عنترة : حسنٌ أن يكون خباؤك على طريقى ، فأسعد باجتلاء طَلْعتكِ ! ...

عبلة : أشكُرُ لَكَ ! . . . وما حاجتُكَ إلى اجتلاء طَلْعتى ؟ ...

عنترة : إن طلعتَك لتُفْعِمُ نفسى بالبهجة والإيناس ...

عبلة : إنك لتَجِدُ فى طلعة غيرى من صبَايا القبيلة أو من جواريك بناتِ فارسَ ما يبهجك ويؤنسك ! ...

عنترة : « مبتسما » لِطَلْعَتِكِ يا عبلةُ ضياءٌ لا يباريه ضيـــاء ! ...

عبلة : إن عبلةَ تحفظُ ضياءها لمَنْ خَطبها ... الأمير عُمارة ! ...

عنترة : « مبتسما » ذلك فى علمى ... ولكن ألا يَشَمُّ المرء عِطْرَ الزهر فى بُســتان جارِه؟ ... الحُسْن كالعِطْر، كلاهما مُباحٌ لمن يَشَمُّ ومن يتطلّع ... !
« يستنشق النسيم حول عبلة » ما أذكَى الطِّيبَ الذى يَنْفَحُ منكِ ! ... إنه عِطْرُكِ القديم ...

عبلة : لم أستبدلْ به غيرَه ! ... هو طِيبى المفضّل ...

عنترة : وهذه العِصابة ... ما أبدَعَها ... لم تفقدْ بهاءها... ولن تفقدَه ! ...

عبلة : إنها عِصَابَتى التى أتّخذُها كلَّ يوم... يَرُوقُنى لونُها !...

عنترة : إنكِ لحَفِيَّةٌ بزِينَتِك ...

عبلة : شأنى دائماً ...

عنترة : المرأة لا تتزيّن إلا للرجل ...

عبلة : لى خاطب علىَّ أن أحتَفِظَ بقلبه ...

عنترة : وهل تخشَيْنَ على قلبه أن يَشْرُد إذا لم تحُولى بهذا السّياج ؟...

عبلة : وهل يُؤمَنُ للرِّجال جانب ؟...

عنترة : « مداعباً » وهل سبقَ أن شرَد منكِ قلب ؟ ...

عبلة : إن قلباً تملكهُ عبلة لا يستطيعُ عنها فكاكا ...

عنترة : أنت بنفسك شديدةُ الزَّهو ...

عبلة : ألا تراني بهذا الزَّهو خليقة ؟...

عنترة : أراكِ على الدَّوام ساحرة ...

عبلة : « ضاحكة » نحن إذنْ على وفاق ! ...

عنترة : أتهوَيْن خاطبكِ ؟...

عبلة : المخطوبةُ تهوَى خاطبها ...

عنترة : ما أيسر أن تهوَى المخطوبةُ مَن خطبها ... ولكن هل لهذا الهوَى من دوام ؟...

عبلة : الوفاء فى الحبِّ من شِيَم النساء ... أما الرجال ...

عنترة : حقـًا إنّ قلب الرجُـل قُلـَّبٌ ... ولـكن له فى ذلك عذرَه ، إنه ليُـنكرُ قلبـه فى سبيل المجد ... أما المرأة فمجدُها الذى تهدِف إليه هـو القلبُ تحت رايةِ الحب ...

عبلة : وما أشقانا بهذه القلوب ! ... بل ما أسعدَنا بها ! ... إننا نستمرئ السعادة من سعـير هذا الشقاء ...

عنترة : لـكَـم تغيرت نظراتى فى الحياة والحبّ ...

عبلة : الحبُّ الأصـيلُ ليس بالثوب الذى يخلع بين آن وآن ! ...

عنترة : أبيـنِى ...

عبلة : إنه جـذوةٌ دائمةُ التوقُّد ، لا تخبُـو إلا ريثما تتوهَّـج ...

« تقبل عليه ، وترنو إليه ... »

عنترة : ما أجملَ عينيْكِ اليوم يا عبلة ...

عبلة : هما عيْناىَ دائماً ... هما هما ...

عنترة : وهذا الـكحْـل ... ما أفتَـنه ! ...

عبلة : إنه كحلى الذى أتكحل به منذ نشأتى ...

عنترة : عجباً لى ، كيف أبيح لنفسى التطلع إلى مفاتنك مستمتعاً ، وأنت لغيرى ؟ . . . إنه امتهان للصداقة التى بينى وبين الأمير عمارة ... على حين أنى أقدره وأكبره ! ...

عبلة : ألم تقل إن للمرء أن يشم عطر الزهر فى بستان جاره ؟ ...

عنترة : ولكن المرء طموح نزاع ، قد لا يقنع بالشم ، فتشره نفسه إلى القطف والامتلاك ... !

عبلة : لقد كانت الزهرة منك دانية المنال ، فتركت غيرك يسبقك إلى اقتطافها ... !

« يتيه عنترة بنظره فى الفضاء برهة ...
فترة صمت . . . . »

عنترة : هى الأقدار يا عبلة ! . أقر لك بأن صفقتى هى الخاسرة ! .

عبلة : « فى سهوم » وقد تكون الرابح . . . لا تعجل بالحكم ! ...

عنترة : إنه ليتعذَّرُ على المرءِ أن يفرقَ أحياناً بين الفَوْزِ والإخفاق ... ليس بهَـيِّنٍ أن نميزَهما بمعالِمَ واضحة ... ما أراه إخفاقاً قد يَحدُثُه سِوَاى فوْزاً مبيناً ...

عبلة : سَلْ قلبَك يُنبئكَ بالخبرِ اليقين ! ...

عنترة : وعَقلى ... ألا أستفتيه ؟ ...

« يبدو عطامطم على الربوة . . . . . . »

عطمطم : مولاىَ عنترة ...

عنترة : ما بالك ؟ ...

عطمطم : شيوخُ القبيلة ينتظرُون لقاءكَ ...

عنترة : أنبئهِم إليهم أنِّى قادمٌ الساعةَ ...

عطمطم : السمعُ والطاعةُ ...

« ينصرف . . . . »

عبلة : « لعنترة » إنهم ينتظرونَك للتشاوُر فى أمْرِ بنى فَهْد ... لقد اشتدَّتْ بهم الرغبة فى قِتالِ تلك القبيلةِ الشَّغُوب ...

عنترة : ولِمَ لمْ يقاتلوها فى مَغيبى ؟ ...

عبلة : هم يعلمون أن أمر بنى فهد لا يُحسن الفصلَ فيه إلا عنترة ... فبمقدورك وحدك أن تخضد شوكتهم وتردّ جماحهم ...

عنترة : ألم يعزّ لهم أن يستنصروا بالأمير عمارة ؟! ... أليس هو أشجعَ أهل البادية ؟...

« أطرقت عبلة قليلا ... وهى اليه رانية متفحصة . . . . »

عبلة : الأمير عمارة وإن كان أشجع أهل البادية يُعتبر غريباً عن قبيلتنا ، فما يجمُل بأبى أن يستنصر به على عدوّه ! ...

عنترة : ولكن أباكِ لا يستنكف أن يزوّجه ابنته ! ... لم يَعد الأمير عمارة غريباً ، وقد صار للقبيلة صهراً ؟! ...

عبلة : ألا تأنف أن يُزعِم الأمير عمارة على رجالِ القبيلة دونكَ ؟...

عنترة : لا آنفُ كرامة لك وإعزازاً له ... إن الأمير

فارس صنديد ، وسأمده بالمشورة ، وأكون له
ظهيراً ، ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا ...

عبلة : أخشى عليكَ يا عنترة أن يَسْلبُكَ الأمير
عمارة زعامة الجيش ، بعد أن سَلبَكَ إمارة
القلب ! ...

عنترة : أو قادرٌ هو حقًّا على أن يستلب الإمارات
استلاباً ؟... إني لأراه ينالها منحاً لاغلاباً ! ...

عبلة : ما تعده أنت منحة يعدُّه هو حقا يستطيع أن يملكه
بدهائه تارة وبسطوته تارةً أخرى ...
« بعد هنيهة » ألا تراكَ قد أبطأتَ عن مجلس
القبيلة ؟ ...

عنترة : لم أقض وقتي معك عبثاً يا عبلة ... طابَ ليلكِ ! ...

عبلة : طاب ليلكَ ! ...

« يأخذ بيدها ويقف قبالتها لحظة يتوسمها
وتتوسمه ... يتركها بغتة ، وينصرف حثيث
الخطا . . . . »

المنظر الثانى

« الوقت مساء . . . داخل خيمة عنترة الأنيقة . . . الترف الفارسى يتجلى فى أروع مظاهره . . . عنترة وعطمطم على وثير الوسائد . . . بين يديهما مائدة الشراب »

عطمطم : وغزوة بنى فَهْد ؟ ...

عنترة : فرَغنا من أمرِها ، وأجمَعنا الرأى فيها ... تقاسمنا أسلابَها ...

عطمطم : عجِبتُ لكم تتقاسمُونَ الأسلابَ ، وأنتم فى ديارِكم قابِعون ! ...

عنترة : أوَيُخالِجُكَ الريبُ فى غَلَبَةِ عنترةَ على تلك الشراذِم ؟...

عطمطم : لا يخالجنى أىُّ رَيْب ، ولكن لا تنسَ يامولاى أنه قد أصبحَ لتلك الشراذِم شأن يُعَدُّ ... إنها لتَبْسُطُ سلطانها على قبائل الجنوب ، وقد تفرَّدَتْ بشجاعة نادرة ، فهابَها الناسُ وَخَشُوا ما لها من بَطْش ...

عنترة : لم يكن لهذه القبيلةِ ذكرٌ قبلَ رحيلى إلى فارس...
إن صغار الثعالب لتُطل من أجحارها وترفعُ من
هاماتها إذا آنستْ غيبة الأسد !... ولكنى سأشعرهم
أن الأسد قد عاد إلى عرينه ... وسترى كيف يكون
مصيرهم على يدى !...

عطمطم : «وهو يجرع كأسه» ستنتظرهم الخيبة والهزيمةُ حتما...

عنترة : إنى لأسائل نفسى كيف استنامَ أشياخُ القبيلة لتلك
الشراذم، حتى تفاقمَ أمرُها، واستفحل شرُّها !...

عطمطم : ماذا ترجو من زُمرةٍ كُسالى لا يجمعُهم رأىٌ،
ولا يلم شتاتهم ساعدٌ مَكين ؟...

عنترة : وأين الأميرُ عمارةُ الكندىّ ؟...

عطمطم : إنه رجلٌ أميَلُ إلى السّلْم، يريد أن يحيا حياةَ دعةٍ
وطُمَأنينة يستمرئ الرفاهية فى ظلّ ثروته الطائلة !.

عنترة : «وهو يضحك ملء فيه» أوَ تزعُم يا لسان السوء أن
الأمير عمارة ليس لِحَرْب ولا لقتال ؟!...

عطمطم : من كانتْ له ثروة الأمير خَشِىَ عليها ويلاتِ

الحروب ... يقولون إنه رجلٌ داهية ! ... بكياسته
وحيلته يكسبُ المعاركَ دون أن يشنّ غارةً
أو يفقد رجلا ...

عنترة : « وهو يضحك والكأس إلى فمه » أكرِمْ به من أمير
داهية ! ...

عطمطم : ولكن كان خليقا به أن يتقدّم إلى القبيلة فى هذا
الوقت ، ليشُدَّ أزرها فيما هى مُقبلةٌ عليه من
غزو بنى فهْد ...

عنترة : لا أرضى أن يشدَّ أزرى أحد ، وبذلك صارحتُ
الجميع ...

« يجرع عنترة من كأسه ... يصمت برهة »

لندع أميرنا عمارة يتقلّب فى أعطافِ نعيمه ...

عطمطم : حسناً نصنَع ، فإنه بزفافه مشغول ...

عنترة : ماذا يفعل ؟ ...

عطمطم : يعِدُّ العدّة لأعظم عُرس شهدته البادية ! ...
ستحضر ذلك العُرس بلا ريب ...

عنترة : حبيبٌ إلىّ أن أشهد عُرس الأمير ، ولكن لست أدرى أستطيعُ أنا ذلك مع انهماكى فى أمر الغَزو ؟ ...

عطمطم : ألا تؤجِّل هذه الغزوة إلى ما بعد حفل الزّفاف؟...

عنترة : ولم لا يؤجّلُ الأمير حفل زفافه إلى ما بعد الغزوة ؟.

عطمطم : سيَّان هذا وذاك ... نتفق على أىّ الأمرين ...

عنترة : سأعيّن لغزوتى اليوم الذى أراه ملائماً لى ...

عطمطم : ألا تستطيع أن توفّق بين الأمرين إكراما لعبلة ؟...

عنترة : « وقد صبّ الكأس فى فمه ، يصيح » أتظنُّ أنى أعبث بهمتى العليا من أجل غادة من غيد الحىّ ؟ ... ما أجهلك بشئون الحرْب ياعطمطم !... إن للحرب لمطالبَ لزامٌ علىّ أن أضطلعَ بها لا ألوى على شىء .

عطمطم : « مغمغما » الحرب ... الحرب ... لن نستريح منها أبدَ الدهر ...

عنترة : تريدنى كالأمير عمارة أركَنُ إلى الدّعة ، مستمرئاً حياة الرفاهية ...

عطمطم : عفواً مولاى . . . ولكن على المحارب أن يهادن نفسه بين حين وحين ، للاستجمام والتّشرفيه ...

عنترة : لقد طالت بنا المهادنة يا عطمطم فى ركود هذه البيداء . . .

عطمطم : ما كدنا نتذوّق طعمَ الراحة حتى مُنيِنا بخبر بنى فهْد ... ألا سُحقاً لفهد وأبناء فهد ! ...

عطمطم : لن يَطْمَئِنَّ لكَ جَنْبٌ مادمتَ فى صُحْبتى ! ... لتعلمْ أنى بَرِمْتُ بحياة البيداء وأهل البيداء ... لقد أزمعْتُ عنها رحيلا ... سَنشُدُّ الرِّحالَ إلى فارسَ عما قليل ...

عطمطم : ألم تضربْ لذلك موْعداً ؟ ...

عنترة : حين نَنفُضُ أيدِينا من أمر بنى فَهْد ... فخُذ أهْبتكَ لذلك يا راويتى العظيم ! ...

عطمطم : دَعْنا الليلةَ من حديث فارسَ وشئون الحرب . . . ولنَنْعم بمجلسنا هذا بين الكاس والطّاس ...

« يقبلان على الشراب ... بعد لحظة يدخل

سيف متسللا فى حذر وفى يده مجمرة ، فيضعها فى زاوية من الخيمة ويلقى فيها بعض الأعواد ، فيسطع البخور ... وينصرف سيف عجلا دون أن يشعر به عنترة وعطمطم . »

ألا بربِّك أرْهِفْ سمعك لهذا السكون الشامل وارتشفْ أفاويقه ، ثم ارْمِ بطرْفك فى الفضاء الرَّحْب يكسوه القمر بلألائه البهيج ... أحرامٌ أن ننْعَم لحظةً بهذه المتعة ؟ ...

عنترة : « وهو يستنشق البَخور » ما هذه الشاعرية الفيَّاضة يا عطمطم ؟... قل لى : أتحبُّ حقًّا هذه البيداء ؟...

عطمطم : أشعر فى هذه اللحظة بأنى أعبدها ! ...

« يعب من كأسه . . . . »

عنترة : « وهو يطيل استنشاق البَخور منتشياً ، وقد جلس جلسة استرخاء ، وجعل يشرب » صِفْها لى يا صنَّاجة العرب ! ...

عطمطم : البيداء يا مولاى فِردَوس الكُسالى !...

عنترة : « متضاحكا » ما أبدعَ ماقلت أيها الحكيم المجبول ...
ولهذا ترشدنى على أن أقضيَ فى البيداء أيامى كسلانَ
قاعدا ... ما أطيب هذا البَخور ! ... منذ أيام أرى
المجامر تتوهّج بهذه الأعواد الذكيّة ...

عطمطم : بخور طيّب أصيل ... إن أردبيل ليُحسنُ تأليف
الأعواد العطرة ...

عنترة : « وهو مخلد إلى الراحة فاتر الجلسة » ليس هذا من
صنع أردبيل ... لا يحسن تأليف هـــذا البَخور
إلا عربىّ من أعرق أهل البادية ! ...

عطمطم : لعله ابن حبناء ...

عنترة : لعلّهُ ... « وهو يتمطى » إن هذا البَخور ليحمل
فى تضاعيفه صوراً محبّبة ... ذكريات عزيزةً ...
إنه ليُسلمنى إلى نشوة لذيذة ! ...

عطمطم : ألا أدعو لكَ بجواريك الفارسيّات ، نقضى معهن
وقت منادمة وصفو ومؤانسة ؟ ...

عنترة : افعل ما بدا لك ...

« لا يكاد ينهض عطمطم حتى يردد
عنترة . . . . »

لا حاجة لى بجوارى فارس ... يا لله من رائحة هذا البخور ! ... «ويغمض عينيه» يكاد النعاس يملك عينىّ ... إنه كالضباب الرقيق أحسه يغشانى بغلائله ... إنى لأستبين فى غضون هذا الضباب أطيافاً لطافاً تتهادى ، يستطير منها عطر الصحراء ...

عطمطم : لمن تكون هذه الأطياف ؟...

عنترة : « وهو مسبل الجفنين » عذارى البدو الملاح ....

عطمطم : أكرِمْ بهن حساناً فاتنات ! ...

عنترة : لَتصفَنّ لى هاتيك العذارى ياعطمطم ! ...

عطمطم : لقد سَبَقنى إلى وصفهن عليم ... عذارى البادية كظبائها ! ...

عنترة : هذا حقّ ...

عطمطم : ألا أُسمِعك فى ذلك قولَ شاعر ؟...

عنترة : أنشدنى بربّك ما قاله شاعرك ...

عطمطم : أَشْبَهْتِ هذا الظبيَ حسْنَ ملاحة

حتى تحيّر كل وصفٍ فيــك

لكِ جيــدُه ولحاظُه ونفارُه

وغداً تكونُ قرونُه لأبيك !

عنترة : « ينتبه من غفوته ، ويضج بالضحك » ما أظرف

ما أنشدتَ يا لسانَ السُّوء ! ... إيهِ يا عطمطم ...

عطمطم : ماذا أُنشِدُكَ ؟ ... إنّ محفوظى من شعرِ

غيرك لقليـــل ! ...

عنترة : إذن فأنشِدْنى من شِعْرِى ! ...

عطمطم : ماذا تختــارُ أن أنشدكَ ؟ ... أمن شعرك فى

المفاخرة والمنافرة ؟ ...

عنترة : قُتِلْتَ ، ما أغْباك ! ...

عطمطم : أأُنشِدُكَ من شعرك الحماسى ما قلتَ فى وصف موقعة

أرَّجان ؟ ... ألا تذكر قولك :

فويل لكسرى إن حَمَلْتُ بأرضه

وويلٌ لجيش الفرس حين أُعجْعِجُ

عنترة : أبعد عنا عجعجتك ، لا أبعد الله غيرك !

عطمطم : سأسمعك إذن خريدتك الرائعة التي فيها تقول :

أحنُّ إلى ضرْب السيوف القواضب

و ... ...

عنترة : « مقاطعاً » قسماً لئن لم تنته عن ذلك الهذَر لأذيقنك ضرْبَ تلك السيوف القواضب ! ... أنشدْ غزَلاً ... غزَلاً أيها الأحمق ! ...

عطمطم : أنتَ يامولاى حرّمتَ عليَّ إنشاد الغزَل في حضرتك ! ...

عنترة : « متراخياً في جلسته » سأنشدك أنا يا عطمطم !

عطمطم : أتنشدني غزلا يا مولاى ؟...

عنترة : غزلا في ظباء البادية ... أرعِني سمعك ...

عطمطم : أجديد ما تقول يا مولاى ؟...

عنترة : إن المعاني لتحومُ في خيالى كالطير الحائمة ، وإنى لمسلمها إليك الساعةَ منصاعة طيّعة ... !

عطمطم : قل لا فُضَّ فوك ، فإني إلى جديد شعرك شيّق ، وإن عهدى به لبعيد ...

عنترة : « ينشد فى غزل المرتجل » :

مرنحة الأعطاف مهضومة الحشا

منعمة الأطراف مائسة القد

عطمطم : « منتشيا ، يردد » مائسة القد ! ...

عنترة : « متابعا » يبيت فتات المسك تحت لثامها

فيزداد من أنفاسها أرج الند ! ...

عطمطم : « يردد » أرج الند ! ...

عنترة : «متابعا » ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها

فيغشاه ليل من دجى شعرها الجعد

وبين ثنـاياها إذا ما تبسمت

مدير مدام يمـزج الراح بالشهد

عطمطم : « يردد » يمزج الراح بالشهد ! ...

عنترة : أتشرع كأسى يا عطمطم ...

عطمطم : «وهو يقدم له الكأس » بعقلك زدنى يامولاى ! ...

« عنترة وعطمطم يشربان ... يغشى الصمت

مجلسهما برهة ... يتراخيان فى جلستهما »

يسمع الفتى سيف وهو ينشد : ... ... «

سيف : « فى الخارج ، ينشد » :

أنا لا يهدأُ شوقى   فى بِعاد أو لقاءِ
طيفكِ المحبوب شُغلى   فى صباح أو مَسَاءِ
أنت يا عبلة أُنس   لفؤادى وهناءِ

عنترة : « يرفع رأسه مصغيا » لمن الصوت ؟ ...

عطمطم : الفتى سيف ...

عنترة : « مغمغما » ما فتىء يترنّم بشعرى ، وقد نهيته عن إنشاده ! ...

عطمطم : إن شعرك لم يعُدْ ملكاً لك ... إنه حق مباح لكل راغب فيه ...

عنترة : ماذا تقول ؟...

عطمطم : أتستطيع أنت أن تمنعَ الناس الاستمتاعَ بنور الشمس ؟...

« يتضاحك عنترة مغمضة عيناه ... يعاود الفتى سيف غناءه . . . . »

سيف : « فى الخارج » طيفكِ المحبوب شغلى
فى صباح أو مساءِ

حينما تَرضَيْنَ عنى   يمــلأ القلبَ الرجاء

فإذا الكونُ نعيمٌ   وإذا الدنيــا صفاء

عنترة : عطمطم ! ...

عطمطم : مولاى ! ...

عنترة : إن لهذا الفتى صوتاً حنُوناً ...

عطمطم : « وهو يكرع من كأسه » كأنه هديلُ الحمام ، إذا هاجَه الشَّوق والهُيام ...

عنترة : أتَرِعْ كأسى ... أتَرِع ! ...

« يملأ عطمطم لعنترة كأسه ، يشرب عنترة ثم يستلقى على حشية . . . . . »

سيف « يغنى فى الخارج » منكِ يا عبلة عزمى   فابعثى فىَّ المضاء

وصِليني فى دُنُوِّى   إن فى الوصل شفاء

واذكرِيني فى بعادى   إن فى الذِكرَى وفاء

الفصل الخامس

المنظر الأول

« الوقت أصيل ... أمام خيمة عنترة ...

عنترة واقف يشحذ سيفه ... هند قادمة ... »

عنترة : « وقد لمح هنداً » من أين يا هند ؟ وإلى أين ؟ ...

هند : فيم سؤالكَ ؟ ...

عنترة : « وهو مقبل على سيفه يشحذه » قليل من فضُول ! ...

هند : سؤال الفضولىِّ لا جوابَ له عندى ... !

عنترة : « وقد رفع رأسه مبتسما » فإن كان سؤالَ صديق ؟ ...

هند : لهذا حكمٌ آخرُ ، ولكنى لا أستطيعُ الكلام ...

عنترة : « وهو يداعب خدها بيده » إذن أنتِ فى طريقكِ إلى زيارةٍ عاطفية ، تقتضى حَيْطةً ومُساترة ! ...

هند : ربما كان حقاً ما تقول ... أغَيُّور أنتَ ؟ ...

عنترة : لهذا سألتُ ... أجيبينى ... من أين ؟ وإلى أين ؟ ...

هند : لن أُحيرَ جواباً ...

« تهم بمتابعة سيرها . . . . . . »

عنترة : « وهو يعترض طريقها » الأمر جدّ إذن ... هناك حبيب ! ...

هنـد : دعني ...

عنترة : لن أدعكِ قبل أن تفضى إلىّ بسرّكِ ! ...

هنـد : خلّ سبيلى ...

عنترة : لن تفلتى من يدى ! ...

هنـد : ثم ماذا يا عنترة ؟...

عنترة : لا تضيق نفساً بى ...

هنـد : « وقد عقدت يديها على صدرها وصمتت برهة » قلت لكَ ثم ماذا يا عنترة ؟...

عنترة : لا سرّ بين عنترة وصغيرته هند ! ...

هنـد : إن إفشائى لهذا السرّ يثير غضبَ عبلة ...

عنترة : « وقد حدّق فيها بهتا » ما شأن عبلة بهذا ؟...

هنـد : إنه ليس بسرّى ! ...

عنترة : « وقد أمسك يدها بغتة » ماذا تخشين ؟... أهنالك

رجلٌ ينتظر قدومَ عبلة ؟...

هند : أطلقْ يدى ...

عنترة : « وقد شد على يدها » أراكِ لا تجيبين ! ...

هند : قلت لكَ أطلق يدى ...

عنترة : « وقد تطاير من عينيه الشرر » يا هند ... أنتِ على شفا هوّةٍ تعبثين ... صارحيني ... ما وراءك ؟...

هند : ماذا بينك وبين عبلة حتى يبلغ بكَ الاهتياجُ هذا المبلــــغ ؟...

عنترة : « وقد تمــالك » إن هو إلا عرض من أعراض القبيلة علىّ أن أذودَ عنه ... أن أحميَه ! ...

هند : أفكانت نفسُكَ تهتاجُ هذا الاهتياجَ لو كان العِرض عِرضَ هند أو عرضَ دعجاء ؟! ...

عنترة : « وهو يحاول كظم غيظه » نعم ، الأعراضُ عندى سواء ...

هند : طب نفساً يا عنترة ... ليس فى الأمر حيب ! ... هى حفلةٌ تُزمع عبلةُ أن تقيمها الليلة ...

عنترة : أيةَ حفلة تعنين ؟ ... ولم الخفاء إذن ؟ ...

هند : أرادت عبلة أن تقصرَ حفلتها على الصبايا من صويحباتها ... حفلة للصبايا وحدَهنّ ! ...

عنترة : « وقد أشرق وجهه » للصبايا وحدَهنّ ؟! ...

هند : لن يشهدها من الرجال أحد ... أفهمتَ الآنَ لِمَ الحَيْطة والتخفّي ؟

عنترة : ولكن لماذا قصرتْ عبلة على صويحباتها العذارَى هذه الحفلة ؟ ...

هند : لكي تهيء لنفسها ولصويحباتها مجلسَ متعة وإيناس ، يلعبنَ ويمْرَحن ، ويرقُصْن ويغنين ، لا يحتشمْنَ من أحد ، ولا يأبَهْنَ لأحد ، ولا يخشين عيونَ الرقباء من الرجال ! ...

عنترة : « وقد بَدَا من عينيه وميض وهَّاج » وأين تكون هذه الحفلة ؟ ...

هند : الحق أنك قد تجاوزتْ الحدّ ...

« تنظر إليه ملياً . . . . »

عنترة : إنه مجرد سؤال لست أبغى من ورائه شيئاً ... لن أعكر عليكنَّ صفوَ حفلتِكنّ ... أين تكون الحفلة ؟...

هنـد : « هامسة » على غدير ذات الإصاد ...

عنترة : ما أطيبَه مكاناً ... « بعد لحظات قصيرة » وإذا وقع ما ليس في حِسْبانكنّ ، وهبط عليكنَّ رجل، فماذا أنتنّ فاعلات ؟ ...

هنـد : نطارده فى عنْف وشدّة حتى نخلى المكانَ منه ...

عنترة : وإذا كان هذا الضيف من الأصدقاء الخُلّص ؟ ...

هنـد : « تحدق فيه وقتا وتبتسم ، ثم تقبل عليه مداعبة » قسما إنك لتحدّثك نفسك بالقدوم ... !

عنترة : أوَتظنّين ذلك ؟ ...

هنـد : « ضاحكة » بل أؤكّده ...

عنترة : ما أنتِ صانعةٌ إذن ؟ ...

هنـد : « بعد فترة صمت » أنتَ لى صديق ، ولك عندى مكانة ... فإذا أصررت ...

عنترة : « مبتسما » لست مصراً كل الإصرار ...

هـند : لابدّ من تدبير حيلة ... « تفكر هنيهة » ... حسناً ! ...

« تقبل عليه وتسر إليه أمراً ، ثم تتولف

صوت مسموع . . . . »

ماذا ترى فى ذلك ؟ ...

عنترة : ما ألمعَ ذكاءك ! ... هذه بُغْيَتى ! ...

هند : سترى كلَّ شىء ، ولن يراكَ أحد ...

عنترة : بورِكَ فيكِ يا هند ...

هند : إنه سر بيننا ... بينى وبينكَ أنتَ وحدَك ... فكن على حذَر ، حتى لا يفتضحَ الأمر ...

عنترة : اطمئنّى يا صديقتى الوفيَّة ... اطمئنى ... سأهْدِى إليكِ صُندوقا مرصّعاً بلؤلؤِ البَحْرَيْن ...

هند : فقط ؟ ! ...

عنترة : ماذا تبغِينَ غيرَ هذا ؟ ... أجيبى ! ...

هند : لن يهدأ بالى حتى . . . حتى أنتَهِب كنوزَكَ ، وآتىَ عليها ، أيها الساحرُ الهندىّ ! ...

« يتضاحكان . . . . »

المنظر الثاني

« غدير ذات الإصاد الوقت مساء ...
اليوم نفسه . . القمر يغمر البقعة بضيائه
الفضي . تقبل أم هرم وحازم وبعض التابعات
يلقون ببعض الحشايا ويضعون قدور
الطعام . . . . »

أم هَرِم : «لحازم» قلت لكَ لا تحضرْ ، فلم تستمع لقولي ...
إن الرجالَ لا يؤذَن لهم أن يشهدوا هذه الحفلة ...

حازم : عجيبٌ أمركِ ...وهذه القدور ، أبينكنَّ من تستطيع حَمْلَهــا ؟ ...

أم هرم : نشكر لــك على أيّةٍ حال ، ولكن يجب أن ترجع أدراجَك ...

حازم : سأفعل . . . «يرتب بعض الأشياء» وماذا تقصد عبلة بكلّ هذا ؟ ...

أم هرم : إنها حفلةٌ صغيرة تريد أن تقيمها لِصُويْحِبَاتِها

احتفاء بخطبتها للأمير ...

حازم : ومتى يحين يوم الزواج ؟ ...

أم هرم : لم يُبتّ فى شأنه بعد ... ولكنه وشيك ...

«تسمع أصوات » لقد حضرن ... اذهبْ ... اختف ...

« تدفعه فيخرج متسللا ... بعد لحظة تدخل
عبلة وهند ودعجاء ونجلاء وبعض فتيات
الحى مرحات يتضاحكن يصحبهن الفتى سيف »

عبلة : « للجمع » شكراً لكنّ يا صديقاتى ... أرجو أن
أحقّق لكنّ فى هذا الاجتماع الصغير لطائف
المتع ... إنها حفلتنا ... حفلة الصبايا الطرّوبات ...
نريد أن نحيا لحظات هادئات منعّمات ، لا تروّعنا
أنظار الرجالِ العطشى ... أطلِقنَ أنفسكنّ على
سجيتها ... لا تخشَينَ شيئاً ... لن يقربَ المكان رجل ...
ما أحسن أن تلتقى الفتيات بعيداً عن الرجال ! ...

« سيف يسعل ليشعر الحاضرات بوجوده
تتجه إليه العيون . . . . »

نجلاء : « وهى ناظرة إلى سيف » يا للعجب ... كيف

لم تنتبهن لوجوده !... كيف نرتكب هذا الخطأ ؟.
ألم نشترط ألا يحضر مجالسنا إلا النساء ؟...

هنـد : ليس ثمة من خطإ ...

دعجاء : إنه ... إنه بعيدٌ عن جنسِ الرجال !...

هنـد : « واقفة فى خيلاء أمام سيف ، وقد وضعت يديها فى خصرها » أتقبل أن تكون من جنس النساء ؟...

سيف : « ينقل بصره هنيهة بين الفتيات وبين قدور الطعام ، ثم يحك رأسه بأصبعه » حقـًّا ... لا أدرى !...

عبلة : اطمئن ... لستَ برجل !...

دعجاء : وليس بفتاة ...

سيف : يالَلنكبة !... إذن ماذا أكون ؟ ...

هنـد : أنتَ فتاةٌ ستنقلب شابًّا بعد حول ...

سيف : آه ... لا ... لا ... لستُ فتاة !...

نجلاء : أترفضُ أن تكونَ فتاة ؟...

سيف : كلا ، إنما الواقع هو ...

« يتم حديثه مع نجلاء ودعجاء بصوته خافض ... عبلة تتنحى بهند جانبا . . »

عبلة : « لهند » منفردة بها ، أيحضر ؟...

هند : نعم ، سيحضر ! ...

عبلة : لم تذكرى له أننى عالمة بحضوره ...

هند : أتحسبين هنداً من البلاهة بحيث تقعُ فى مثل هذا ؟...

عبلة : وأين يكون مخبؤُه ؟...

هند : « تشير بيدها فى الخفاء » خلفَ هذه المظلّة ...

عبلة : أيكون قد أوهمَكِ بأنه سيحضر ، ولن يفعل ؟ ...

هند : سيأتى حتما ... وسترَيْن ... آه لو أبصرتِ به وقد اتقدتْ عيناه بلهبِ الغيرةِ ، حين ظنّ أنك على موعد مع رجل ...

عبلة : أنتِ واهمة ...

دعجاء : فيم تتسارّان ؟...

عبلة : كنا نتحدّث فى مشكلة سيف ...

نجلاء : لقد أقرّ بأنه فتاة ، وانتهى الأمر ...

هند : « لسيف » أُزجى إليكِ تهنئتى الخالصة يا صديقتى الحبيبة ! ...

سيف : كيف هذا ... كيف ؟ ...

نجلاء : «وهي تشير إلى القدور» لا يمسّ ما في هذه القدور إلا الإناثُ ...

سيف : فلأكنْ مؤنّثاً ... على بركة الله ... هاتُوا الطعام.

«يذهب بنفسه ويرفع أغطية القدور ويتأمل ما حوت ....»

ما أشهى هذا الثريدَ !... وهذا المجيعُ ما أطيبَه !... وهذا القديد ما أعظمه !... يالله !... أجئتنّ أيضاً بفالوذَج !؟... «يتلمظ طويلا، ويمتص لعابه» طعامُ الملوك ! ...

نجلاء : أتحبُّ الفالوذَجَ ياسيف ؟ ...

سيف : أموتُ فداءه ! ...

هند : إنه طعام عنترةَ المفضّل ...

دعجاء : وطعامُك المفضّلُ أيضاً ! ...

عبلة : «لدعجاء» وكيف تجدينَه أنتِ ؟ ...

دعجاء : لونٌ غيرُ سائغ ... لا ميزةَ له ...

عبلة : إنى على رأيك ... نحن أهلَ البادية لا نشتهى هذه الألوانَ الدخيلة علينا ! ...

سيف : لونٌ سائغ أو غيرُ سائغ ، ألا تَبْـدَ آنَ الطعام ؟

هند : الطعام بعدَ الغِناء والرقص ...

سيف : كيف ؟ ... هذا تعنت ...

نجلاء : لا حيلة لك يا سيفُ ... الغناء والرقصُ أولا ! ...

عبلة : هيّـا ... فلنبدأ ... غنِّ لنا شيئاً يا سيف ...

« سيف يتوسط الحلقة ويبدأ يغنى . . .
هند تتسلل تاركة المكان . . . . . »

سيف : « ينشد » أتانى طيفُ عبْلةَ فى المَنام

عبلة : « تقاطع سيفاً » صمتاً ... صمتاً ... لا أريدُ هذه الأنشودة ! ...

سيف : كيف يا سيدتى ؟ ...

« ينظر الى الجمع مستطلعاً رأيهن . . . . »

نجلاء : ولِمَ يا عبلة ؟ ...

عبلة : ذِكْرَيات أدركها البِلَى ، ولا أرغب فى نبْشِ رُفاتِ الموتى ! ...

دعجاء : أتخشَين على نفسكِ من هذا الرُّفات ؟ ...

عبلة : لا أخشى شيئاً عليَّ ... بل أخشى على غيرى ...

دعجاء : كيف ؟ ...

عبلة : قد يثير فى بعض القلوب رواقد الأشجان ! ...

دعجاء : « تتضاحك فى انفعال وتصايح » حقـًّا إنه ليثير أشجاناً وأشجاناً ... ها ... ها ... غنِّ يا سيفُ غن ...

« سيف يعود للغناء . . . . »

أتانى طيف عبلة فى المنام ... فقبَّلنى ثلاثاً فى اللثام

وودَّعنى فأودعنى لهيباً ... أُستِّره ويُشعل فى عظامى

« تعود هند . . . . »

هند : « لعبلة ، جانباً » لقد حضر ...

« عبلة تبرق عيناها ، وتأخذ فى إظهار مفاتنها ، وتبسط شعرها ، وتخلع بعض ملابسها فتبدو ذراعاها عاريتين . . . »

عبلة : « مهمهمة » إن حرَّ الليلة لايطاق ! ...

« تتثنى وتتمايد فى مشيتها وتشير إشارات

فيها دل وتيه ، وتمسك بهند وتبدأ الرقص
فتحذو حذوها الفتيات ... بعضهن يرقص
وبعضهن يصفق ... دعجاء ونجلاء فى
الصفقات . . . . »

سيف : «منشداً» :

أذِل لعبلة من فرط وجدِى
وأجعلها من الدنيا اهتمامى
وأمتثلُ الأوامرَ والنواهى
وقد ملك الهوى منى زِمامى
أيا ابنة مالك كيف التَّسلِّى
وعهدُ هواكِ من عهدِ الفطامِ
لعمرُ أبيك لا أسلو هواها
ولو طحنت محبتُها عظامى

هند : «تتظاهر بالذعر» صديقاتى ... صُويحباتى ...

« الفتيات ينظرن إليها متطلعات ... هند
تشير إلى الظلة . . . . »

أرى شيئاً يتحرَّك ... هناك ...

« تتجمع الفتيات ، وينظرن إلى الظلة متخوفات . . . . »

سيف : « وهو يرتعد » إن الظُّلَّة هي التي تتحرك ! ...

عبلة : أتزعم أنها تتحركُ من مكانها ؟ ...

نجلاء : شيءٌ يتحرَّك فيها ...

سيف : أيكونُ ثعبانا كبيراً ؟ ... أسمَعُ فَحِيحا ! . . .

هند : أيّ فَحِيح ؟ ...إني لألمَحُ خلف القصَب عينَيْن متقدتَيْن كالجمر ! ...

دعجاء : لعله أسَد ...

« الفتيات يتجمعن ، ويتصايحن فزعا . . »

عبلة : اِلزمْنَ الصمتَ ... إن الصياحَ يَهيجُ الأسُود ! ...

« الجمع يصمت وهو يحدق ناحية الظلة »

نجلاء : « في همس » ألا يتقدمُ أحدٌ ليجلوَ لنا الأمر ؟ ...

هند : « لسيف » أنتَ الرجلُ الوحيدُ بيننا ... ألا تتقدم لتدفعَ عنا ؟ ...

سيف : أنا رجل ؟ ... لقد أشهدتكُنّ على نفسي بأني فتاة ! ...

هند : يا لَلجُبن ! ... أما تستَحِي ؟ ... تقدمْ ...

« هند تزجه . . . . »

سيف : الجبنُ أمام الأسود شرف ومُسَوَّدد !... اتركيني...
« يخاطب الأسد في ضراعة » نشدتك الله أيها الضِّرغام إلاّ رحمتنا ! ...

« يبدو عنترة فجأة من خلف النخلة
ويقفز الى الجمع ... يظهر في ملابس البدو
أول مرة بعد عودته من فارس . . . »

عنترة : « صائحا » كلا ... لن أرحمكن ... سألتهمكن التهاما !...

الجمع : عنترة ! ... عنترة ! ...

سيف : لم يخطىء ظنُّنا ... إنه الضرغام عينُه ! ...

دعجاء : إنها الخيانة ...

فتيات : « يرددن » خيانة ... خيانة ...

عنترة : ليس ثمة من خيانة ... أُقسمُ لكنّ ...

عبلة : « متغاضبة : تقاطعه » من دلّكَ على مكاننا ؟ ...
وكيف استبحتَ لنفسك دخول حرمنا ؟ ...

عنترة : لم يقل أحد إن غدير ذات الإصاد حَرَم ووقف

على الفتيات ...

عبلة : لقد قلت أنا الليلة ذلك ! ...

عنترة : لا علم لأحدٍ بهذا ...

عبلة : كفى استخفافاً بنا يا عنترة ... إذا كنت تعلم بمكاننا وأبيتَ إلا أن تقتحمه علينا ، فإن ذلك منك جريمة لا تُغتفَر ...

عنترة : إن أمرى واضح ... خرجتُ أتنزّه فى ضوء القمر ، فقادَتْنى قدماى دون قَصدٍ إلى غدير ذات الإصاد ، فسمعتُ غناء وطَرَباً ، فحدانى الفضول أن أتقدم لأعلمَ ما الخبر ؟ ...

نجلاء : يلوح لى أن عنترةَ لم يكنْ سَيّئَ القَصْد . . .

هند : أما أنا فأَراه سَيّئَ القصد ...

عنترة : وماذا تَرَيْنَ يا هند ؟ ...

هند : نحاكمك ...

عنترة : أرضَى بذلك ، وسأدافع عن نفسى خير دفاع ... ولكن من يكون قاضِيَّ ؟ ...

دعجاء : « تشير إلى عبلة فى شىء من السخرية » وهل لدينا
غير عبلةَ تصلح أن تكون قاضيك ؟ ! ...

عبلة : سأكون سَيّافَهُ ...
« تخطف بدلال سيف عنترة ، ثم تقول » :
أنتَ أسيرى ! ...

هند : لم يكن غيرَ ذلك طوالَ حياته ! ...

عبلة : «تلتفت إلى الجمع» إنه أسيرنا ...

الفتيات : « يتصايحن » عنترة أسيرنا ...

« يلتفون حوله . . . . »

عبلة : أترضَى أن أكونَ قاضيَك أيضا ؟ ...

نجلاء : أتكونينَ خَصما وحَكَماً فى وقتٍ معا ؟ ...

عنترة : « لعبلة » لا أطمئن إلى قضاءِ غيركِ ...

عبلة : ألا تخشىَ قسوَتى فى الحكم ؟ ...

عنترة : القسوة منك رحمةٌ وعدْل ...

دعجاء : «فى سخرية» لقد عرفنا الحكمَ ماذا يكون ، وانتهت
القضيّة ! ...

سيف : نعم ... نعم ... انتهت قضية عنترة ، ولنبدأ قضية القدور ! ... إن بطوننا تتضوّر ... هلاّ رحمتموها ؟ ... ولنبدأ بالفالوذَج ... وليحيَ الفالوذج العنتريّ ... هيا ... هيا ...

نجلاء : هلمّوا ، رأفةً بهذا المسكين ... « تشير إلى سيف »

عبلة : هلموا ...

« سيف يتقدم مهرولا نحو القدور فتقفه أم هرم .... »

أم هرم : « لسيف » قف ... لا تتقدمْ ... لن تأخذ إلا ما نُعْطيكه ...

« سيف يتذمر ... يلتف الجمع حول الطعام ، ويأخذون فى الأكل وهم يضجون ويتصايحون ... عبلة وعنترة يتركان حلقة الطعام بعد قليل ، وقد أخذ كلاهما منه نصيباً فى يده ... يسيران على مهل جنبا إلى جنب ، قاصدين غدير ذات الإصاد . »

عبلة : « وهى تلوك طعامها فى فمها » ما أحلى هذا الفالوذَج ! . لم يكذبْ من سمّاه طعام الملوك ...

عنترة : أتحبينه ؟...

عبلة : « ناظرة إليه بدلال » إنى به مولعة ! ...

عنترة : إنى لفخـــور بذلك ، فأنا الذى أدخلت صناعته فى هذه البادية ...

عبلة : لك أن تفخر بذلك ، فقد غزوت به قلوب البدو ...

عنترة : وددتُ لو بغير الفالوذَج غزوتُ هذه القلوب ! ...

عبلة : أراك لا تأكل منه ... ماذا تطعَم ؟ ...

عنترة : « وهو يأكل » أطعَم تجيعاً ...

عبلة : طعام عامة العرب ... إنه طعامٌ تافه ...

« يصلان إلى الغدير ... عبلة تكشف عن ساقيها وتضرب قدميها فى الماء عابثة »

عنترة : « وهو يأكل من الجيع » ولكنى أجده شهيًّا جـــدًّا ؟! ...

عبلة : عنترة الفارسىّ يأكل الجيع ويستطيبه ؟! ... أين هذا من اللَّوْزينج المعطر ، والطباهج الرشراش ؟...

عنترة : إنها المرة الأولى التى أذوقُ فيها الجيع بعد عودتى من

فارس ... وإنى لأجدُ له مَذاقاً يعلو على اللوزينج والطباهج ...

عبلة : لقد شوّقتَني إلى أكله ... « يقدم لها عنترة بجيئه ، فتشاركه » حقاً إنه لذيذ هذه المرة ! ... « تنظر إلى ثيابه » يلوح لى أنها المرة الأولى التى تستبدلُ فيها بملابسك الفارسية الثمينة ذلك الرداء البدوىّ ! ...

عنترة : « ضاحكا ينظر إليها » وإنها المرة الأولى التى أجلس فيها تلك الجلسةَ على أديم الأرض ، لا نمارق ولا طنافسَ ! ... « يتمطى ويستنشق الهواء » ... ما أطيب حياةَ البادية ! ...

عبلة : إنها حياتُك القديمة التى أضعتها ...

عنترة : كيف أضعتها ؟ ... إنها لى ، أستعيدها فى أىّ وقت أشاء ! ...

عبلة : تظن أنك قادرٌ على أن تستعيد كلّ شىء متى شئت ! ...

عنترة : « مبتسما » ألستُ عنترة ؟ ...

عبلة : « ضاربة بقدمها فى الماء » لقد سلبتك سيفَك من

يدك ، وسيفك كلُّ شيء لك ، فكيف تستطيع أن تستردَّ ما ترغبُ فيه ؟...

عنترة : بقلبي ...

عبلة : أما زلتَ ذا قلبٍ ؟ ...

عنترة : وأين ذهب قلبي ؟ ...

عبلة : إنه يَهيم ضلالاً في بلاد فارس ...

عنترة : إني لأحسُّه يختلج بين جوانحي ...

« يمد يده إليها يريد أن يمسك يدها » هاتي يدَكِ ...

عبلة : « متراجعة بدلال » لماذا ؟...

عنترة : لتتعرَّفي مكانه ، وتتبيني خُفوقَه ! ...

عبلة : ليست بي إلى ذلك حاجة ... إني بمكانِ قلبك عليمة !.

« تنثر عليه بكفها ماء مداعبة ... يرتد قليلا ، ثم يقبل عليها . . . . . »

عنترة : أتذكرينَ يومَ رششتِني بالماء في هذه البقعة نفسها قبلَ رحيلي إلى فارسَ ، حتى ابتلَّ ثوبي كله ؟...

عبلة : كان عبثَ الصبا ، ولهو الطفولة ...

عنترة : ما زلتِ على هذا اللهو والعبثِ ! ...

عبلة : كلاّ ... لم أعُد عبلةَ الماضى ...

عنترة : هذا حقّ ، لأنك تتجدّدين كل يوم ... تتجدّدين حُسناً وبهاء ...

عبلة : يا للمُداهِنِ الماكِر ! ...

عنترة : أمُداهنٌ ماكرٌ أنا حقّاً ؟ ...

« يقترب منها .... »

عبلة : « فى مداعبة » قلتُ لكَ لا تقترب منى ...

عنترة : أرغَبُ فى استردادِ سيفى ! ...

عبلة : قبل أن أقتلَك ؟ .. هيهات ! ...

عنترة : « مقبلا عليها » هاتى سيفى ... قلت لكِ هاتى سيفى ...

« عبلة تقفز من مكانها ، وتجرى على الصخرة بجوار الغدير ... يعدو عنترة خلفها .... »

عبلة : « واقفة محتمية بالصخرة » أمازلتَ مُعتَزِماً أن تستردَّ سيفَك ؟ ! ...

عنترة : أَفى ذلك شكٌّ ؟ ...

عبلة : إذن جَرِّبْ ...

« تلوح بالسيف فى يدها . . . . »

عنترة : عبلة ... لا تلهى بهــذا الحسام الباتر ... أخشى عليكِ منه ...

عبلة : ولم لا تخشى عليه منى ؟ ...

عنترة : رُدِّيه إلىَّ بسلام ...

عبلة : وإذا لم أرُدّه بسلام إليك ؟ ...

عنترة : أخذتُه غَصبا ...

عبلة : أعِدُكَ أن أردَّه إليك ، على شرط واحد ...

عنترة : وما هو هذا الشرط أيتها الجِنِّيَّة ؟ ...

عبلة : أن أحلقَ به لحيتَك ...

عنترة : لحيتى ؟ ... كما فعلتِ بى فى الماضى ؟ ... هيهاتَ ! ...

« الجمع هناك منهمك يأكل ، بيد أن دعجاء تلاحظ غيبة عنترة وعبلة ... فتتطلع تريد كشف مكانهما ، فتحول هند دون ذلك بلباقتها فى الحديث والإشارة . . . »

عنترة : « لعبلة » قلت لك تعالى ...

عبلة : ولحيتك ؟...

عنترة : هاتى السيف يا شيطانة ...

عبلة : أسلمنى لحيتك أسلمكَ سيفك ! ...

عنترة : « ناظراً إليها فترة وهى تتلاعب بالسيف فى دلال »
قبلتُ ما تريدين ... تعالىْ ...

« عبلة تعتلى الربوة ، وتتهيأ للقفز ...
عنترة يبسط لها ذراعيه ، فترتمى بين
أحضانه ... يحملها إلى الغدير ... على حين
يبدأ الفتى سيف يغنى بتحريض من هند »

سيف : « ينشد » أنتِ للعين ضياءٌ أنتِ للروح دواءٌ
أنت ياعبلة أنسٌ لفــؤادى وهناءٌ
أنا لايهدأ شوقى فى بعادٍ أو لقاءٍ
طيفك المحبوب شغلى فى صباح أو مساءٍ

« عبلة تفترق من عنترة ، وترقص بالسيف
أمامه ، وهو يراقبها فى شغف ، ثم لايلبث
أن يقبل عليها ويراقصها . . . . »

سيف : « يتابع إنشاده » :

حينما ترضَين عنى يملأ القلبَ الرجاءْ
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكون صفاءْ
وإذا بى فى حُبور وابتهاج وازدهاءْ
منكِ إقدامى وعزمى فابعثى فىَّ المضاءْ
وصلينى فى دنوّى إن فى الوصل شفاءْ
واذكرينى فى مَغيبى إن فى الذِّكرى وفاءْ

« يظهر الأمير عمارة فجأة على الربوة
الكبيرة ... يسطع ضياء القمر عليه ...
يتوقف الجمع عن الغناء والرقص . . . »

عمارة : « فى لهجة الساخط المغيظ » بل تابعوا ما كنتم فيه ...
لم أحضر لأعكرَ عليكمْ صفوَ ليلتكم ...

« ينزل من الربوة متمهلا » ولا يحيي
عنترة ... عبلة تنقل بصرها بين الأمير عمارة
وعنترة ... تقف وقفة الظافر بانتصارها على
أكبر قلبين تضمهما البيداء ... الأمير عمارة
يواصل حديثه فى لهجة المتهكم ... ... »

قلتُ لكم تابعوا الغناء والرقص ...

عبلة : « تتجه نحوه » أنت فى غضبكَ محقّ ! ...

عمارة : أغاضبٌ أنا ؟! ...

عبلة : أنت خاطبي ، ويحقُّ لك أن تغضب ، إذ ترى خاطبتك يراقصها رجلٌ غيرك ...

عمارة : وما دمتِ تدركين ذلك فلمَ تُقدمينَ على هذه الفعلة ؟!

عنترة : لستُ غريباً عن عبلةَ أيها الأمير ... إن صلةَ الرحم تربطنا ، ونحن من قبيلةٍ واحدة ...

عمارة : « لعنترة » أوجهتُ إليكَ الكلام ؟ ...

عبلة : « تتقدم من الأمير عمارة » الحقُّ أنى أخطأتُ ، ولكنه خطأ بلا قصد ... طلبَنى للرقص ، فخجلتُ أن أردَّه ... أقسم ...

عنترة : ولِمَ القَسَم ؟ ...

عمارة : « لعنترة » أتزعُم إذن ...

عبلة : « وقد أقبلت على الأمير عمارة » لا يزعُم شيئاً ... لم يَعُدْ بينى وبين عنترةَ شىء ... لقد وهبتُك أنتَ

قلبي وكفى ، وإنى لا أملك إلا قلباً واحداً ...

عمارة : عبلة ؟ ! ...

عبلة : أميرى ، وخاطبي ؛ بل زوجى ...

« تميل على صدره فيحتضنها ... عنترة مغيظ ، ولكنه كاظم غيظه ... هند فى حيرة ... دعجاء تتفرج فى شوق وحماس »

عنترة : « بعد تردد » إن وقتى لأثمنُ من أن أضيِّعهُ فى هذا المكان... إن غزوةَ بنى فَهْد تناديني... إن الحرب مَشْغَلَتى ...

« يتهيأ للخروج ، ويلتفت الى الأمير عمارة قائلا . . . . »

أما الحب فإنى أدَعُه لك... فلتنعمْ به... طاب ليلُكم !

« يخرج مهرولا . . . . »

عبلة : والآنَ إلى الرقص والغناء ...

« تبادل الأمير عمارة نظرات الهيام ... تترك الأمير وتهرع الى الجماعة لتنظم حلقة الرقص ... تميل على هند وتضغط يدها فى ابتهاج ... تنتحى بها جانبا وتقول متحمسة » :

إنه يحبُّني ... يحبني ...

هند : « متسائلة فى سذاجة » من ؟ ... الأمير ؟ ...

عبلة : « ضاحكة فى استهزاء » الأميرُ أمره واضح ...

هند : تحسَبِينَ عنترة ؟ ... « فى سذاجة » ولماذا إذن تركتِه ينصرف كالطريد ؟ ! ...

عبلة : « لا تعنى بالرد على سؤالها ؛ بل تجذبها من يدها وتصيح » إلى الرقص ... إلى الغِناء ... هيّا ...

« تترك هندا ... تعود إلى الأمير عمارة منتشية فرحة ... هند تقف فاغرة فاها »

دعجاء : « وقد اقتربت من هند » لا تعجبى يا هند ... لا تعجَبى ... مازلتِ طفلةً يا صغيرتى ! ...

« الغناء والرقص يبدآن ... الأمير عمارة يراقص عبلة . . . . »

الفصل السادس

« بقعة رملية وراء الجبل يبدأ منها
« فم الشعب » وهو الطريق الوحيد الذى
يصل مناطق الصحراء بمضارب بنى فهد ،
وخيم قبيلة الأمير عمارة الكندى . . .
يبدو الأمير عمارة الكندى وهو ممسك
بزمام الجمل الذى عليه هودج عبلة ذو اللون
القانى ، خلفه الركب من الأعوان والأتباع »

عمارة : « يقف جمـــل الهودج » حطّوا الرّحالَ لحظة
يارجال ، حتى نصلحَ من شئوننا ، ونُعدَّ أنفسنا
لاجتياز هذه الشُّعب الوَعرة . . . « يصفق ناحية
الهودج » عبلة ... عبلة ... « تطل عبلة من الهودج »
انزلى يا حبيبتى لنستريح بضــعَ لحظات ، ثم نتابع
السير ! ...

« يتلقاها بين يديه نازلة من الهودج
تنزل بعدها هند ... الأمير عمارة يربت
يد عبـلة ملاطفا مدللا ، ثم يواصل
حديثه . . . . »

لن نتأخرَ طويلا ... سيكون وصولى إلى مخيَّمِى
فى الوقت الذى عيَّناه ... إن أباكِ مع القوم هناك
ينتظرون قدومنا ... إنهم ليذوبونَ شوقاً لاستقبالِ
أميرةِ كِنْدة ...

« يقبِّل يدها » لستِ أميرةَ كِندة وحدها ؛ بل أنت
أميرة كلِّ هذه البادية ...

عبلة : « يعلو وجهها بعض السهوم » أشكرُ لكَ أيها
الأمير ! ...

عمارة : ما هذه الكلفةُ يا عبلة ؟ ... لقد طلبتُ إليك ألا
تُلقبينى بالأمير . . . قولى يا عُمارة . . . بل قولى
يا ... حبيبى ... !

عبلة : مهما يكنْ من أمر فمراسم الزواج لم تتمَّ بعد ...
أتقيم وزْناً للألفاظ ، وأنتَ عليم بما يُكِنُّه لك
قلبى ؟ ...

عمارة : « يقبِّل يدها مشغوفا » شكراً ... شكراً لك
يا عبلة ... والآن سأذهب للإشراف على الأتباع ...

وساعود إليك بعد قليل ...

« الأمير يخرج ... عبلة وهند تخطوان بضع خطوات . . . . »

عبلة : أفٍّ ... أفٍّ ...

هند : ولم التأفف ؟ ...

عبلة : من وَقْدةِ الحر ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . . »

هند : « تنظر إليها مسترِيبة » حقاً إن الحر لا يطاق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها أيضا . . . »

ولكنني مع ذلك أرى الجوَّ رخيَّ النسمات ...

كل الناس يقولون : إننا محظوظون بالخروج هذا اليـــومَ ...

عبلة : ماذا تقصدين بكلامك هذا ؟ ...

هند : لاشيء ! ... « بعد صمت قصير » أفٍّ . . . أفٍّ . . .

عبلة : ماذا ؟ ...

هند : الحرُّ ... لا يطاق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . . »

عبلة : أتهزئين بي ؟ ...

هند : معاذَ الله ...

عبلة : إذن ...

هند : بي ضيق شديد ...

عبلة : أفي يوم عرسي تحسّين ضيقاً وهمًّا ...

هند : « تحدق فيها » لا أستطيع أن أحسّ السعادةَ يا عبلة ، وأنا أراكِ تُزَفينَ إلى الأمير عُمارة ...

عبلة : وإلى من كنت تودين أن أزف ؟ ...

« هند تنظر إليها في صمت ، ثم تهم بالكلام ، فتسبقها عبلة . . . . . . »

لا أريد أن تلفظي باسمه أمامي ... لا أريد ... المتغطرس ... المغرور ...

هند : « كأنها تتحدث إلى نفسها » إنه وربي لَمَظلوم ...

عبلة : اسكتي ولا تُطيلي اللَّجاج ! ...

هند : ماذا كنتِ تريدين منه أن يفعلَ بعد أن رأى منك ما رأى ليلةَ الغدير ... غدير ذات الإصاد ؟ ...

عبلة : لا أريد منه أن يفعلَ شيئا ... إنى أكرهه ...
أمقُتُه ... أسامعة ؟ ... لقد ظنّ بعد عودته من فارس
أنه ملكَ الأرضَ ، واستعْلَتى سلطانه على مناطِ
الجوزاء ! ... أما الآخَر ...

هند : الأمير عمارة ...

عبلة : خاطبى ... زوجى ... حبيبى ، فإنه مثالُ الرجل
الكامل ... وإنى أحبه ؛ وأنا سعيدة بزواجه ...
« تسير مهتاجة بضع خطوات ، ثم تقول »
أُفّ ... أُفّ ...

هند : الحرُّ لا يطاق ! ...

« تسير عبلة وقتاً جيئة وذهوبا فى
اهتياج . . . هند تجلس على صخرة وقد
أسندت وجهها إلى كفيها . . . تقف عبلة
فجأة أمام هند . . . . »

عبلة : إنه لم يحضُرْ لمشاهدة عُرْسى . . . وإنى بذلك
لقريرة العين ...

هند : « وهى على حالها » لقد خرج لغَزْوِ بنى فَهد ...

عبلة : ولماذا اختار هذه النزوة اليومَ الذى اخترناه نحن لحفلةِ العرس ؟ ...

هند : يقولون إنه استخبرَ المنجِّمينَ ، فبيَّنوا له هـذا اليوم ، وقالوا إنه له يوم سعْد !...

عبلة : بل سيكون أشأَمَ يومٍ فى حياته ... إنى لأرجو أن يلقىَ من بنى فهد شرَّ هزيمة وخيبَة ! ...

هند : ما هذا القول يا عبلة ؟...إن هزيمته هزيمةٌ لقومنا ...

عبلة : لقومكم أنتم !... إنى اليومَ إلى كِندةَ أنتسب ... كِندة العظيمة ! ...

هند : سينتصر عنترة ... ما من ذلك بدٌّ ! ...

عبلة : سنرى ! ...

هند : أفى ذلك تشكِّين ؟...

عبلة : ماذا ترجِّين من رجل أضحى زِيرَ نساء ، حليف شراب ؟... أبَقِيَتْ عنده للحرب همَّة ؟...

« يظهـــر الأمير عمارة محوطا بأعوانه وأتباعه . . . . »

عمارة : « للجمع » هيّوا ... شدوا الرّحال ... ولنمْضِ على بركة الله ...

« الجمع يتهيأ ... يقبل حرسى مهرولا .... »

الحَرَسىّ : « للأمير عمارة » سيدى الأمير ...

عمارة : ماذا ؟...

الحَرَسىّ : إن رجالَ عنترة قد ظهروا على حين فجأة ، واحتشدوا على « فَم الشعب » يبتغون أن يأخذوا الطريق قبل أن نأخذه ...

عبلة : يا للدّاهية ! ... يريدون ان يجتازوا الشّعب قبلنا ، فيسدّوا علينا الطريق ، ويرهقونا بالغبار . . . محال ! ...

عمارة : اعترضوا طريقهم ...

الحرسى : لقد فعلنا ... ونخشى أن يلتحم الفريقان ...

« تسمع ضجة يتبين الجمع فيها صوت عنترة يجلجل ... بعد لحظة يظهر فى لمة من أنصاره »

عنترة : « للأمير عمارة » أبأمرِك مُنِع رجالى من نزول الشعب ؟ ...

عمارة : نعم ...

عنترة : ألا تعلم أنهم رجالى ، وأنى ماضٍ بهم لغَزو بنى فهد ؟.

عمارة : لقد جئتُ بركْبِى فى هــذا المكان قبلكَ ، فلى أن أتقدمك فى السير ...

عنترة : ركبك ؟ ... قلت لك إنى قادمٌ لغزوِ بنى فهـد ، فنَحّ رجالك عن الطريقِ بسلام ...

عبلة : « تتقدم شامخة الأنف » إنه ركبى أنا أيضاً ، وسيمرّ قبل جيشك ! ...

عنترة : « يتظاهر بأنه لم يرها حتى الآن » أميرة كِندةَ ؟. تحياتى وإجلالى ... « ينحنى محييا » أعلم أن الركبَ ركبُ عرْسكِ ، ويسوءنى أن ينشبَ بينى وبين الأمير خاطبِك هذا الخلاف ... أمَا نصحتِ له بأن ينتحىَ برجاله جانباً ، ويدَعنا نمرُّ بسلام ؟! ...

عبلة : أنصَحُ له أن يُقْصيَك ورجالك ... « تخاطب الأمير

عمارة ، لن يمرّوا قبلنا ... لن تتقدمَ ركبَ عُرسى
هذه الشِّرْذمةُ التى يسوقُها عنترة ! ...

عمارة : لن يمرّوا قبلنا أبدا ...

عنترة : « يصيح برجاله ، اسبقوا إلى الطريق ... لا يصدكم
عنه أحد ... إن الوقتَ قد أزِف ...

عبلة : « للأمير عمارة ، اشْهَرْ عليهم السيف ! ...

عمارة : « مجرداً سيفه من غمده ، سيكون هذا بيننا حكماً ...

عنترة : أتريد قتالى ؟! ...

عمارة : إنى مبارزُك ... احم نفسك ...

عنترة : إنى لأرْثِى لك ! ... « يجرد حسامه من غمده »
سأمْهِلك بعض الوقت لتتروّى فى الأمر ...

عمارة : قلتُ لك احم نفْسَك ! ...

عنترة : يا عمارة ... ما زلتَ غضّ الإهاب ، ولكَ عَرُوس
حسناء ! ...

عمارة : لا تَزدْ ، وإلا اخترَمك سيفى ، ولاتَ ساعة
مَنْدَم ! ...

عبلة : « للأمير عمارة » لا فُضَّ فُوكَ يا حبيبي ! ...

عنترة : بِرَغْمِي أُبارزك ، وبرغمي سأقتُلك ، وأُشهِدُ ربي على ذلك ! ...

« يلتقى الفارسان فى مبارزة مروعة ... سرعان مايهجم عنترة على خصمه هجمة قوية ... عبلة تراقبهما مزهوة بأنهما من أجلها يقتتلان ! . . . عنترة يطعن الأمير عمارة فى كتفه . . . يسقط السيف من يد الأمير عمارة ويترنح فى وقفته . . . عبلة تصيح يسرع عنترة الى الأمير عمارة ويتلقاه بين ذراعيه ، ثم يقول . . . »

أأصبتُ منكَ مَقْتَلا ؟ . . . « يكشف عن الجرح ، ثم يغمغم » جُرح كبير ، ولكنه ليس بالخطير ! ...

« الأمير عمارة مغمى عليه ... عنترة يخاطب رجال الأمير عمارة . . . . »

إن أميركم جريح ، وجُرْحُه يتطلّب حسنَ عناية وسرعةَ عِلاج ... هلمُّوا فاحمِلوه ! ...

« يتقدم بعض أتباع الأمير عمارة فيحملونه »

عُودوا من حيث أتيتم ، وخَلُّوا وجهَ الطريق ! ...

« ينصرف رجال الأمير عمارة به ويخلون
البقعة لعنترة ورجاله . . . عنترة يخاطب
رجاله . . . . »

أمّا أنتم فاسبِقُوا إلى بَطْنِ الشِّعَبِ ... سألحق
بكم بعد هُنَيْهَة ...

« رجال عنترة يشيرون إشارة الطوع
وينصرفون . . . عبلة تلم شملها وتهم
بالخروج فى أثر جماعة الأمير عمارة . . .
عنترة يخاطبها . . . . »

إلى أين ؟ ...

عبلة : ألْحَقُ بخاطى الجريح ...

عنترة : لديه من يُعنَى به ...

عبلة : إنه فى حاجةٍ إلىّ ...

هند : « مغمغمة » إنه فى حاجة إلى طبيب ! ...

عنترة : « لعبلة » سيُشغَل عنكِ بجُرحه ...

عبلة : إنه يحبنى ، ولن يشغله عنى شىء ! ...

عنترة : أنتِ واهمة ...

عبلة : وأنا أحبُّه أيضاً ...

هند : لا أصدِّق ...

عنترة : لعلك تريدين أنك تُشفقين عليه ... إن الفارس المهزوم لا يُحَبّ ...

هند : أمقتُ المهزومين !...

عبلة : أحبُّه ، وأريد أن أُعنَى بجرحه ...

« تهم بالمضى ، فيتصدى لها عنترة واقفاً فى طريقها فتقول » دعنى أنصرفْ !...

عنترة : أنسيتِ يا حسنائى أنك أصبحت سَبِيَّتى ؟...

« عبلة تقف أمامه عاقدة يديها على صدرها »

عبلة : أنا سبيَّتك ؟!...

هند : « متطلعة إلى عنترة فى سرور » وأنا ؟!...

عنترة : أتقبَلينَ أن تكونى سبِيَّتى يا هند ؟ ...

هند : إنه لشرفٌ يا عنترة ...

عنترة : أنت فتاة رقيقة العاطفة ! ...

عبلة : أعلَم أنى لستُ رقيقة العاطفة ... لن أرضى أن أكون سَبِيَّة أحد ...

عنترة : لا يطلب رضاءك أحد ... لقد نلتُك سَبِيّة في قتالي مع الأمير ، وستظلين في أسرى ! ...

عبلة : « تحدق فيه برهة صامتة ، ثم تقول » وماذا أنتَ صانع بي ؟ ...

عنترة : لن أضمك إلى جَوَارِيَّ ... سأبيعكِ ! ...

هند : أرضى أن أشتريها منك ...

عنترة : ولماذا ترغبين في شرائها ؟...

هند : لأهبكَ إياها ! ...

عبلة : أوثر أن أُباعَ في الأسواق ...

عنترة : هذا ما اعتزمتُ صُنعَه ! ...

هند : وهل تساوي كثيراً ؟ ...

عنترة : « يدور حول عبلة متفحصا ، ثم يقول » لا أظنّ ! ...

عبلة : ولماذا تبيعني إذن ؟...

عنترة : لا رغبة لي في الإبقاء عليك ... إن خِبائي يَغَص بالجواري ! ...

هند : « في مداعبة » قد تنفعُك ! ... إنها ماهرة في

كل شيء ... فى حَلْبِ النياق ، وصُنْع الجَـبيع ، وعمل الثريد ...

عبلة : إن عنترة ليس فى حاجة إلى من يحلُب نياقَه ، فهو ماهر فى حلْبها . . كان يحلُبها ويأتينى كلَّ صباح بلَبَنِها ... !

عنترة : أنا ؟ ...

هند : لا تستطيعُ الإنكار ... أنا شاهدةٌ عليك !

عنترة : كان ذلك فيما مَضى ...

عبلة : والآن ... ألا ترضى أن تحلُبَ لىَ النِّيَاق ؟ ...

عنترة : لن أحلُبَ نياقاً لأحد ... قلتُ لكِ سأبيعُك ! ...

هند : وهل يرضى قلبكَ بهذا ؟ ...

عنترة : يرضى ... يرضى ...

هند : وحبُّكَ لها ؟ ! ...

« يقدم فارس . . . . »

الفارس : « لعنترة » إن الجيشَ على أتمِّ أهْبَة ... والوقت قد أزِف ...

عنترة : ابدءوا السير ... واحضروا هودج عبلة ...

الفارس : « ينادى » هودج عبلة ...

« يظهر هودج عبلة محمولا على جمل ...
يناخ الجمل على مقربة من عبلة . . . . »

عبلة : إلى أين أنت ذاهبٌ بى ؟ ...

عنترة : سآخذكِ معى فى غزوِ بنى فهد ...

عبلة : أرغبُ فى العودة ...

عنترة : ستطيعين أمرى ! ...

عبلة : لا أمرَ لأحدٍ على ؟ ...

« تتحفز للهرب ، فيمسك بها عنترة ،
ويحملها الى الهودج ، فتصيح وتحاول
الانفلات منه . . . . »

عنترة : لن تفلتى منى ، ألم أقلْ لكِ إنكِ أصبحتِ أسيرتى ...
سبيتى ؟ ...

عبلة : « وهى بين ذراعيه ، تحاول التملص منه » دعنى ...
دعنى ... إن ذراعيكَ تدقّان عظامى ... !

عنترة : سأروضُكِ على أن تكونِى أسيرتى ...

« يضعها فى الهودج . . . هند تدخل
وراءها . . . عنترة يصيح : . . . »

قِياماً ... قِياماً ...

« ينهض الجمل . . . عنترة يصيح : »

إلى بنى فَهْد ! ...

ختام

الأبيات فى هذه القصة مقتبسة من الشعر القديم ، إلاّ أُنشودة عنترة لعبلة التى مطلعها : « أنتِ للعين ضياءٌ » فقد نظمت لهذه القصة خاصة .

[رقم الإيداع ٣١٢٩ لسنة ١٩٧١]

من مؤلفات «محمود تيمور»

(أ) مجموعات قصصية :

١ — كل عام وأنتم بخير
٢ — مكتوب على الجبين
٣ — شفاه غليظة
٤ — إحسان لله
٥ — انتصار الحياة
٦ — قال الراوى
٧ — أبو الشوارب
٨ — دنيا جديدة
٩ — عرحنا عجب

(ب) قصص مطولة :

١ — كليوباترا فى خان الخليلى
٢ — سلوى فى مهب الريح
٣ — نداء المجهول
٤ — شمروخ
٥ — معبود من طين

(ج) صور وخواطر :

١ — ملامح وغضون
٢ — النبى الإنسان
٣ — شفاء الروح
٤ — عطر ودخان

(د) رحلات :

١ — أبو الهول يطير
٢ — شمس وليل
٣ — جزيرة الحب

(هـ) قصص تمثيلية :

١ — صقر قريش
٢ — سهاد أو اللحن التائه
٣ — المنقذة وحفلة شاى
٤ — المخبأ رقم ١٣
٥ — المزيفون
٦ — فداء
٧ — اليوم خمر
٨ — ابن جلا
٩ — قنابل
١٠ — حواء الخالدة
١١ — طارق الأندلس

(و) دراسات لغوية وأدبية :

١ — مشكلات اللغة العربية
٢ — دراسات فى القصة والمسرح
٣ — طلائع المسرح العربى
٤ — اتجاهات الأدب العربى
٥ — القصة فى الأدب العربى
٦ — معجم الحضارة (قاموس)